

فوزي آل سيف

# رؤى في الإصلاح الثقافي



المكتب للنشر والتوزيع



مكتبة نرجس PDF

[www.narjes-library.blogspot.com](http://www.narjes-library.blogspot.com)

رؤى في  
الإصلاح الثقافي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# رؤى في الإصلاح الثقافي

فوزي آل سيف



أطباف للنشر والتوزيع  
هاتف / فاكس: ٩٦٦ (٢) ٨٤٤٥٤٤٥  
جسران - ٩٦٦ - ٠٣: ٨٦٨٧٧٧١  
القطيف - شارع التدرس  
منب: ٦٦٢١٥ القطبية ٣٩٩١١  
المملكة العربية السعودية  
E mail: atya.pd@hotmail.com

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - 2007 م

جميع الحقوق محفوظة



أطیاف للنشر والتوزیع

هاتف/فاکس: ٨٥٤٩٥٤٥ (٢) +٩٦٦

جوال: ٥٠٥٨٦٨٧٧٧١ +٩٦٦

القطيف - شارع القدس

من.ب. ٦٦٢١٥ القطيف ٣١١١١

الملكة العربية السعودية

E-mail: atya.pd@hotmail.com

# المحتويات

9 ..... مقدمة

## قضايا الإصلاح الثقافي

الإصلاح الثقافي خطوة البداية	13
المعرفة أفضل العبادة	14
القرآن يفك الأصول الثقافية الخاطئة	16
من مظاهر التخلف الثقافي في الأمة	21
أولاً: فقر الإنتاج العلمي والفكري	22
ثانياً: شيوع فكر الخرافية والأسطورة	25
ثالثاً: الاحتماء بالماضي والافتخار به	29
من أسباب التخلف الثقافي	35
الجانب التربوي	35
أبناءنا والعلاقة مع الكتاب	38
أثر الاستبداد في تخلف الأمة	41
الجانب السياسي	41
مأساة الفكر مع الاستبداد	46
إشكالات أمام حرية الكتاب	49

53 .....	<b>كيف نحصل على جيل قارئ</b>
58 .....	<b>المرحلة الأولى: بينة البيت</b>
59 .....	<b>المرحلة الثانية: بينة المدرسة</b>
60 .....	<b>المرحلة الثالثة: بينة الأحياء والمناطق</b>
63 .....	<b>الخرافة والتأمل العقلي</b>
63 .....	<b>كيف نتعامل مع ظواهر الخرافة في المجتمع؟</b>
71 .....	1. عدم تحكيم العقل
72 .....	2. التلقين
73 .....	3. استفادذ الأسباب الظاهرة
74 .....	4. إحالة على المجهول
75 .....	5. مجتمع القمار والحلول السهلة
76 .....	6. الخلط بين الغيب وبين الخرافات
77 .....	7. عدم الرجوع إلى أهل الاختصاص
78 .....	<b>آثار انتشار الخرافات ونتائجها السلبية</b>
78 .....	1. البعد عن حالة الإنتاج
78 .....	2. تشويه صورة الإيمان بالغيب
79 .....	3. سوء استغلال بعض الأفراد للضحايا
80 .....	4. تشكيل طبقة من الأفراد الطفيليـن
83 .....	<b>قضايا ثقافية في منهج أهل البيت</b>
	<b>مقدمات في منهج التعامل مع الروايات</b>
85 .....	<b>التفاعل بين الثقافة والسلوك</b>
90 .....	<b>نقاط في منهج التعامل مع النصوص</b>
92 .....	<b>الأصول الروائية مواد خام ليست ثقافة جاهزة</b>

93 .....	<b>التفريق بين الدين والمعرفة الدينية</b>
96 .....	<b>آثار الانفتاح من غير منهجه</b>
103 .....	<b>الفهم الحرفى أو العرفى للروايات</b>
107 .....	<b>ملحوظة الجانب الزمني في الروايات</b>
110 .....	<b>خير لباس الزمان ليس أهله</b>
115 .....	<b>تعدد مقامات النبي وأثرها في فهم النصوص</b>
115 .....	<b>1. مقام النبوة والتبلوغ</b>
117 .....	<b>2. مقام القضاء بين الناس</b>
119 .....	<b>3. موقع الولاية وإدارة المجتمع</b>
120 .....	<b>التهديد بإحراء من تأخر عن الجماعة</b>
122 .....	<b>جوائز الغرار من الوباء</b>
124 .....	<b>أخرجوا المشركين من جزيرة العرب</b>
129 .....	<b>قضية تحليل الخمس</b>
131 .....	<b>عرض الروايات على القرآن والقيم العامة</b>
136 .....	<b>أصول السنة في القرآن</b>
136 .....	<b>أحاديث رؤية الله</b>
140 .....	<b>هل يورث الأنبياء؟</b>
141 .....	<b>العرض على القيم العامة في الدين</b>
141 .....	<b>لن تبلغوا ما أدهم!</b>
143 .....	<b>غيبة المسلمين المخالفين في المذهب</b>
146 .....	<b>علم الأئمة بالغيب</b>
147 .....	<b>المرأة شر؟</b>



## مُقدِّمة

تعيش أمتنا العربية والإسلامية كما هو مشاهد وضعاً مختلفاً، في أكثر من صعيد.. فهي تقع في ذيل الأمم المتحضره وتحتل موقعها في خانة الأمم المتخلفة والتي تسمى بمحاملة بالنامية. وفي داخلها لا يحتاج الباحث إلى أكثر من الالتفات إلى ما حوله، ليرى آثار التخلف ومظاهره في مختلف الصعد ظاهرة.

ففي الحال السياسي لا تزال الأمة تعيش ضمن أنظمة سياسية لا تنتمي إلى هذا العصر وبعض شعوبها تخيا غائبة تماماً عن واقعها السياسي (تكترش من أعلاها وتلهو عما يراد لها)، كما لم هذه الشعوب تحقق تقدماً في صراعها الأساس، بل تراجع يوماً بعد يوم وأمامك القضية الفلسطينية شاهد فما كان يرفضه المسلمون بقوة في السابق أصبحوا يتسلون لنيل بعضه اليوم فلا يجدونه! وفي الحال الاقتصادي تلتحق صور الفقر والبطالة وضعف الإنتاج، ويتمثل بين عينيك عناوين التبعية بالرغم من مقومات الثراء والغنى الموجودة فيها، في البر والبحر والموقع، وغير ذلك مما يعلمه الجميع. وإذا كانت المجال الاجتماعي في السابق يشفع لهذه الأمة بعض الشيء حيث لم تصل مشاكل الحداثة وآثار العولمة، فبقي أثر التوجيهات الأخلاقية والأنمط الاجتماعية التقليدية صائناً لقسم من القيم، وحافظاً لأبناء المجتمع من الأفياز، فإن هذا بدوره قد تراجع على أثر الانفتاح على الثقافات والعادات الذي جاء به عولمة التواصل في هذا الزمان. ولهذا ينبغي التساؤل عما هي الحاجة الأكثر إلحاحاً بالنسبة

لأمتنا لكي تتجاوز وضعها السيء الراهن؟

ربما يسرع البعض إلى الإجابة بأن التخلف لما كان شاملاً في كل النواحي، فنحن نحتاج إلى كل شيء؟ إن ذلك يشبه قرية منكوبة فتحتاج إلى الشارع والمستشفى وقنية الماء والمخبز وهكذا باقي الأشياء، لا تستطيع أن تستثني شيئاً.

وهذا الجواب بالرغم من صحته إلا أنه لا يمنع من السؤال بأنه ما هو الأكثر إلحاحاً في تلك القرية؟ إن حاجة الأمة متعددة فهي تحتاج إلى التخصص العلمي، وتحتاج إلى السلاح المتتطور، وتحتاج إلى المصنع المنتج وتحتاج إلى غير ذلك..

لكننا نعتقد أنها تحتاج قبل كل ذلك وبعده وأنباء إلى البصيرة والمعرفة والثقافة.. وهذا يعني أنها تحتاج إلى نظرية ترسم الطريق الصحيح في حياتها، وتحتاج خريطة تعلمها من أين تبدأ.. وتحتاج وبالتالي إلى إصلاح ثقافي بحيث لو لم تحصل على هذا الجانب ولم تسع فيه، لم يفعلاها ما حصلت عليه!

ضمن هذا الإطار تأتي هذه الصفحات لكي تعالج هذه المسألة في القسم الأول من الكتاب، بينما يتناول القسم الثاني قواعد في فهم التراث من النصوص، والذي لا يزال يؤثر تأثيراً مباشراً وكثيراً على حركة الأمة، وتتأثر بطريقة فهمه اختياراً في الحياة، مساهمة من المؤلف في تلمس طريق التغيير والإصلاح الثقافي في الأمة وهي - في الأصل - محاضرات سبق أن ألقاها في موسم رمضان سابق، أرجو أن تكون إشارة إلى الطريق الصحيح، فإن كانت فللله الحمد وإلا فأرجو أن لا يفوتي أجر النية الصالحة.

فوزي آل سيف

تاروت - القطيف - شرق السعودية

ـ 1428/4/29

# الإصلاح الشفافي خطوة البداية

نعم الله في الكون على قسمين:

القسم الأول: مباح للكل الناس من دون حاجة لمواصفات خاصة أو جهد استثنائي فنعة الهواء مثلاً لا تحتاج إلى مواصفات خاصة أو جهد استثنائي يصرفه بل يكفي أن تكون أجهزة التنفس عند المرء صالحة حتى يستطيع أن يستفيد من هذا الهواء الذي جعل لجميع الناس وهكذا الحال بالنسبة إلى نور الشمس. وأكثر النعم الإلهية المادية هي من هذا القسم لا يختص بها بشر دون ولا فئة دون أخرى.

- وهناك قسم آخر من النعم الإلهية - وهي غالباً الأمور المعنوية والمعرفية والعلمية - هذه لا تتوفر للكل الناس وإنما تحتاج إلى بذل جهد وأن يقوم بقصدها ويخطط لها حتى يحصل عليها. مثل الحكمة.

الحكمة<sup>(1)</sup> - كما ورد عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقي اللطيف حيث قيل له: ما هي الحكمة التي يؤتى بها الله من يشاء وإن من يؤتها فقد أوثقها خيراً كثيراً، فقال: - (هي المعرفة)<sup>(2)</sup> أي الثقافة، والبصيرة، والفهم.

---

11) ذكر ابن منظور في لسان العرب أن: الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يُحسنُ دقائق الصناعات وبناتها أنه حكيم.

(2) ميزان الحكمة 1/ 672.

هذه لا تتوفر لكل الناس كما يتوفّر الهواء والماء ونور الشمس. وإنما تحتاج إلى مقدار من الجهد ومقدار من القصد ولذلك فإنّ الذي يؤتّها ليس كل إنسان وإنما من يشاء الله ويشاء هو.

«... وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...» ليس كل شيء يعطاه الإنسان هو خير بالضرورة، فأحياناً يعطي شيئاً فتكون عاقبته مرّة، لكن بعض الأشياء يؤكّد القرآن الكريم بأنّها خير ومنها الحكمة.

والحكمة خير، ولكن ليست أي خير فإن المال قد عبر عنه بأنه خير، قال تعالى: «... إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ...» ولكن الخير الكثير ليس المال وإنما الحكمة، والكثير كثرة إلهية يختلف عن الكثير عند الناس فالكثرة نسبية لأنّ الكثير عندي لا يكون كثيراً عندك، بل يختلف الكثير بحسب السعة بين الناس فإذا عبر الله سبحانه وتعالى عن شيء بأنه كثير مع أن الله لو جمع ما في الدنيا وما في الآخرة لما كان يعدل جناح بعوضة فإذا كان الله يقول إن: «... وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...» يتبيّن أن هذه الحكمة هي كنز عظيم بالنسبة للإنسان قال تعالى: «... وَمَا يَذَكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ». إذن.. الحكمة: هي المعرفة ونحن حديثنا يتناول جانب الإصلاح الثقافي في الأمة كمقدمة لنهوضها.

فإذا أردنا في أمتنا الإسلامية أن ننهض فأول خطوة ينبغي أن تسلك هي الإصلاح والتغيير الثقافي.

ولهذا ينبغي أن ننظر إلى ما هو موجود مما يصنف ضمن الثقافة الإسلامية، فنقوم بتحليه وتصفيته، وحذف الأوهام منها، والخرافات، كما ينبغي إصلاح الأفكار الخاطئة التي تدعى إلى التواكل والكسل أيضاً.

وهذا ضروري في الهضة لأن حركة الناس وعيهم رهينة ثقافتهم وأفكارهم، فلو تساءلنا ما هو الفرق بين المجتمع الغربي الأوروبي المتقدم وبين المجتمع الشرقي المسلم المتأخر بحيث صار أولئك متقدمين ونحن متخلفين؟

هل السبب في العنصر حيث بعضهم من الآرين وهذا الشرق المسلم من العنصر السامي؟ أو أن السبب راجع إلى اللون؟ أو المناخ والجغرافيا؟

كلا إنما المختلف هو سعيهم وعملهم وحركتهم بناء على اختلاف ثقافتهم عن ثقافتنا وفكرهم عن فكرنا. وعندما نقول مختلف ثقافياً لا يعني ذلك أن كل ما عندهم خاطئ أو كل ما عندنا صحيح؟ ولا العكس.

ومن الحكمة أن ننظر إلى ما لدى الآخرين من علم وثقافة وحكمة فنستفيد منها. إنكم ترون الآن فكرة باطلة في مجتمعاتنا الإسلامية وهي أنه ما دام الشيء الكذائي قد قاله الغربيون فلا نريده. الإصلاح السياسي لا نريده لأنه دعوة قادمة من الخارج !! هذا خلاف للمبدأ الديني القائل أن الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها أخذها سواء كانت من الخارج أو من الداخل.

إذن أول خطوة هي خطوة معرفية وثقافية: لا بد من إصلاح الثقافات والمعارف حتى يتغير السلوك ويتغير السعي والحركة. فلو أخذنا بعض الأمثلة الفردية من تاريخ المسلمين، لرأينا أن الذي صنع التغيير في ظاهر هؤلاء هو التحول الذي حدث في باطنهم وثقافتهم.

عمار بن ياسر هذا الصحابي الجليل كان في السابق عبداً من العبيد يُباع ويُشتري بمقدار قليل من الدرارهم سعيه غير متوج له، حاضره غير معروف وكذا مستقبله، لكنه عندما ينتقل هذه النقلة

الفكرية والإيمانية يصبح كما ذكره رسول الله ﷺ: جلدة ما بين عينيه (عيبي الرسول<sup>(1)</sup> وأنفه).

ما الذي تغير فيه هل زاد يداً أو نقص رجلاً؟ هل صب محلول كيميائي على بدنك؟ كلا! إنما تغير فكره وحكمته. كان يحيى بشفاعة غير هادفة فأصبح يحمل ثقافة هادفة، كان كل دائرته في أن يرعى غنم سيده وأن يرجع لكي يشبع بطنه فأصبح إنساناً يحمل مسؤولية تغيير نفسه وتغيير واقعه، ويتسمى لعقيدة ويضحى من أجلها، ويفكر في هداية البشر. هذا الأصل الثقافي الذي تغير وتبدل فيه رفع منزلته وغير حياته وبدل سعيه وحركته.

الشيء الوحيد الذي تغير أنه جاء وقرأ القرآن فرأى فيه:  
«أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ»<sup>(2)</sup>.

صار يحمل هدفاً في حياته وتغير سعيه بعدها صار يعتقد أنه «وَقُفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ»<sup>(3)</sup> أصبح مختلف عن نظيره الذي يرى أنه «... مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا تَمُوتُ وَتَحْيَا وَمَا يُهَلِّكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ...»<sup>(4)</sup>.. الفارق هو الأصل الثقافي والمعرفي الذي يعتمد عليه وهذا الأصل الثقافي سينشاً منه خير كثير.

### المعرفة أفضل العبادة:

لذلك كانت المعرفة والثقافة أولى وأفضل حتى من العبادة  
كيف ذلك؟

---

(1) السيرة النبوية لأبي هشام 2/345.

(2) المؤمنون: 115.

(3) الصافات: 24.

(4) الجاثية: 24.

ال المسلمين يعتقدون أن العقائد هي الأصول وهي من أفعال القلوب والجوانح (كما يقولون) والعبادات هي الفروع وأفعال الجوارح. والأصول مقدمة على الفروع. في الأصول لا يُطلب حركة يد أو رجل بل حركة عقل: أن يعتقد الإنسان بالله بأن يعرف ربه ومبدأه ومتهاه.. أن يعرف ما يُراد منه وبالتالي ما يقربه من الله وما يبعده عنه، وأن يعرف مما سُيُّسَأَ.. هذه العقائد كلها معارف<sup>(1)</sup> وهي تقدم على العبادات. في العبادة تحتاج إلى حركة في الصلاة من ركوع وسجود وقيام، وإلى معاناة بدن في الصيام، وحركة جوارح في الحج، لكن المعرفة والثقافة لا تحتاج هذه الأمور إنما تحتاج تحريك عقل وتفكير.

في الحديث عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أن رجلاً سأله الإمام: يا أبا عبد الله أخبرني عن أحب الأعمال وأفضلها عند الله؟ وهنا قد يتadar إلى الذهن إن أحب الأعمال الصلاة لأنها لو قُبِلت قبل ما سواها، وربما يقول أحدهم إن أحب الأعمال الجهاد باعتباره باباً من أبواب الجنة. بينما كان جواب الإمام (ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أحب من الصلاة)<sup>(2)</sup> يعني أولاً المعرفة أحب إلى الله ثم بعد ذلك تأتي الصلاة.

(1) في الكافي - الشيخ الكليني، ج 1، ص 50: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد عن المنقري عن سفيان بن عيينة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وحدثت علم الناس كله في أربع: أولها أن تعرف ربك والثاني أن تعرف ما صنع بك والثالث أن تعرف ما أراد منك والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك.

(2) الكافي - الشيخ الكليني، ج 3، ص 264.

- حدثني محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عز وجل ما هو؟ فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أن العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام قال: (... وأوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالرُّكَّأَةِ مَا دَمَتُ حَيًّا).

وفي حديث: عن رسول الله ﷺ: "أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة".

وعن بعض المتصوّفين (عليهم السلام): بعضكم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر حجاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقة من بعض، وبعضكم أكثر صياماً من بعض، وأفضلكم أفضل معرفة<sup>(1)</sup>.

### القرآن يفكك الأصول الثقافية الخاطئة:

لأهمية الموضوع وجدنا القرآن الكريم يفكك الأصول الثقافية والمعرفية التي تحرك الكفار والخاطئين في حياتهم، ولذلك اهتم بذلك أقوالهم ومتبنיהם الفكريّة التي يظهرونها على شكل أقوال أو مناقشات، فلو تبعنا كلمة (قالوا، يقولون) لوجدناها كثيرة في آيات القرآن، لا لأن هذه تحمل قيمةً معرفيةً صحيحةً، وإنما لأنها خلفيةٌ حرّكتهم، فهو يسعى لنفيكيّتها وبيان خللها، والرد عليها.

ولو لاحظنا أن القرآن عادة لا يتوقف كثيراً لمناقشة تفاصيل أخطائهم وإنحرافاتهم العمليّة، وكيف كانوا يشربون الخمر أو يزنون.. وإنما الغالب أنه يتعرّض إلى الأصول الثقافية الباطلة التي تدعو إلى عمل باطل فيناقش تلك الأصول الثقافية.

مثلاً يرتكز على الرؤية العنصرية الموجودة عند بعض اليهود والنصارى والتي تبرر لهم الأعمال الباطلة يعالجها ويتقدّمها «وقالوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيهِمْ قُلْ هَأُولَا بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»<sup>(2)</sup>.

(1) ميزان الحكمة - محمد الريشهري، ج 3، ص 1870.

(2) البقرة: 111.

هذه الفكرة تعبّر عن أصل عنصري وشوفيني باطل. وتدعوهם إلى ممارسات لا أخلاقية تجاه من لا يشارك معهم في أفكارهم «وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمُنَةَ بِقُنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمُنَةَ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا...» لماذا يقوم بهذا العمل مع أنه خيانة واضحة؟

«... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمْيَنْ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ»<sup>(1)</sup> يقول هؤلاء: إن المسلمين ليس لهم حق عندنا لا يتساونون معنا نحن لنا حق عليهم وهم ليس لهم حق علينا لماذا ليس لهم حق عليكم؟ لأنهم أهل النار ونحن أهل الجنة حسب ما يزعمون.

نلاحظ أن القرآن الكريم يعالج هذا الأصل الشفافي الباطل وينتقده لأنه ينبع أ عملاً وسلوكيات باطلة.. (هذه الآية تبيّن منطقهم في أكل أموال الناس، وهو قولهم بأنّ «لأهل الكتاب» أفضلية على «الأميين» أي على المشركين والعرب الذين كانوا أميين غالباً أو أن المقصود كلّ من ليس له نصيب من قراءة التوراة والإنجيل، لذلك يتحقق لهم أن يستولوا على أموال الآخرين، وليس لأحد الحق أن يؤاخذهم على ذلك، حتى أنّهم ينسبون إلى الله تقرير التفوق الكاذب.

لا شك أنّ هذا المنطق كان أخطر بكثير من مجرد خيانة الأمانة، لأنّهم كانوا يرون هذا حقاً من حقوقهم، فيشير القرآن إلى هذا قائلاً:

«... وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ».

(1) آل عمران: 75.

هؤلاء يعلمون أنه ليس في كتبهم السماوية أي شيء من هذا القبيل بحيث يحيط لهم خيانة الناس في أموالهم، ولكنهم لتسوية أعمالهم القبيحة راحوا يختلفون الأكاذيب وينسبوها إلى الله.

هذه الآية تبين منطقهم في أكل أموال الناس، وهو قوله بأن «الأهل الكتاب» أفضلية على «الأميين» أي على المشركين والعرب الذين كانوا أميين غالباً أو أن المقصود كلَّ من ليس له نصيب من قراءة التوراة والإنجيل، لذلك يحق لهم أن يستولوا على أموال الآخرين، وليس لأحد الحق أن يواخذهم على ذلك، حتى أنهم ينسبون إلى الله تقرير التفوق الكاذب.

لا شك أنَّ هذا المنطق كان أخطر بكثير من مجرد خيانة الأمانة، لأنَّهم كانوا يرون هذا حقاً من حقوقهم، فيشير القرآن إلى هذا قائلاً: «... وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذْبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ».

هؤلاء يعلمون أنه ليس في كتبهم السماوية أي شيء من هذا القبيل بحيث يحيط لهم خيانة الناس في أموالهم، ولكنهم لتسوية أعمالهم القبيحة راحوا يختلفون الأكاذيب وينسبوها إلى الله<sup>(1)</sup>.

مثال آخر: «الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ...» وهي قوم ظلوا ضمن المجتمع القرشي المشرك، ولم يهاجروا، ونظراً للضغط الذي كانت تمارس بحقهم فقد انزلقوا إلى مناصرة الكفار مرغمين، وظنوا بأن الاستضعف عذر مقبول في هذا، فحين تتوفاهم الملائكة وهي يقائمه في المجتمع ذاك يكونون قد ظلموا أنفسهم يسألون فيما كنتم؟ لماذا حدث عليكم هذا الظلم وهذا الاضطهاد؟ لماذا حقوقكم مصادر؟

---

(1) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل 2/560.

لديهم تبرير معتمد على أصل ثقافي باطل «... قَالُوا كُنْ  
مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ...» يعني جعل علينا الاستضعاف.. الله  
جعلنا هكذا!! هل يقبل هذا الكلام؟ هل يقبل الأصل الخاطئ؟ نقول  
لهם: كلا «... أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهاجِرُوا فِيهَا فَإِنَّكُمْ  
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»<sup>(1)</sup>.

فأنت تلاحظ مثلاً هذه الأصول الثقافية الخاطئة تنتج سلوكاً  
خاطئاً.. لهذا تغير الأمة يبدأ من الإصلاح الثقافي.

أنقل لك قضية واقعية فقد اتصل أحدهم يسأل: القناعة هل هي  
مطلوبه أو غير مطلوبه؟ أجابه: مطلوبة وهي إحدى الصفات  
الأخلاقية.

قال: إذا كان كذلك فلماذا تتحدثون عن أن الإنسان ينبغي أن  
يتصعد ويرتقي سواء في أمره الأنثروپية أو الدينية؟ هذا خلاف  
القناعة.

وكان لنا لقاء تبين فيه أنه يعمل في إحدى الوظائف براتب  
متواضع جداً، وقد قبل هذا الوضع بناء على أن القناعة كنز لا  
يفنى.. أوضحت له فيه خطأ هذه الفكرة.. القناعة - وإن كانت  
مطلوبه - إلا أنه ليس هذا محلها.

قال: كيف؟

قلت له: عندنا مفهومان: علو الهمة وهذا أصل من الأصول  
الأخلاقية التي وردت كثير من الروايات<sup>(2)</sup> بشأنها وقد ذكر القرآن

---

(1) النساء: 97.

(2) منها ما عن أمير المؤمنين: قدر الرجل على قدر همه. وعنده: كن بعيد الهمة إذا طلبت؛ ولا شرف كبعد الهمة.

في أدعية المؤمنين طموحًا عاليًا للمؤمن «... وَاجْعَلْنَا لِلنَّصِيفِ إِمَامًا»<sup>(1)</sup>، ليس طموح هؤلاء أن يكونوا من المتقين بل أنهم! وهكذا ما ورد في الدعاء الذي يعلم الداعي علو الحمة (وَاجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنِ عَبْدِكَ نَصِيبًا عِنْدَكَ)<sup>(2)</sup>.

يقابل علو الحمة صغر النفس ودنو الحمة وهو خلق مذموم.

أما الذي يقابل القناعة فهو الطمع ومعناه (مَدَّ عَيْنَ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا لَدِيَ الْغَيْرِ) بأن لا يكتفي بما عنده وإن كثُر وإنما يحاول الاستيلاء على ما لدى غيره وإن قل.. هنا تأتي القناعة فيقال: كن قنوعاً بما لديك «... وَلَا تَمْدَدَّ عَيْنِكَ إِلَى مَا مَتَعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...».

لاحظ أنه عندما يختلف هذا المفهوم والأصل الثقافي في ذهن الإنسان فيعتقد أن القناعة تعني أن يكون صغير الحمة ودانيها تتأثر حياته بهذا المقدار، لذلك كان تصحيح الأفكار من المهام الأساسية بل الأولى لتغيير أوضاع الأمة.

وبينما كان الظالمون الطغاة يحاولون أن يركزوا مفاهيم خاطئة كالستواكل والستخاذل. ويكرسوا العجز من خلال قنوات إعلامية متعددة حتى يفقد الإنسان قدرته على التحرك على التغيير ويشوهوا الثورات التحريرية حتى يصنعوا ثقافة باطلة تنعدم على أثرها الحركة في المجتمع كانت أدوار قادة الدين من الموصومين عليهم السلام هدف تصحيح الأفكار وتغيير الثقافة بالنحو الصحيح.

---

(1) الفرقان: 74.

(2) دعاء كميل المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

# من مظاهر التخلف الثقافي في الأمة

تسمى الأمة الإسلامية بأسماء متعددة؛ منها أئمَّةٌ خير أمةٍ أخرجت للناس، ومنها أمةٌ أقرأ، وذلك لأنَّ نشوئها وتكوينها ولحظة البداية فيها هذا الأمر السماوي النازل على رسول الله ﷺ.

وينبغي التأمل في تأسيس هذه الأمة على هذا الأمر مع أنَّ مقتضى الاعتبارات العادلة لو أردنا أن نلاحظها كان ينبغي مثلاً أن يتأتَّي الأمر بالإيمان بالله أو بعبادته، فيقول مثلاً: آمن بالله أو أعبد ربِّك، صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ، صمَّ.

ترك كل ذلك وجاءت هذه الآيات المباركات وعلى المشهور أنها أول الآيات النازلة على رسول الله ﷺ وجاءت بصورة الأمر «اقرًا باسم ربِّك الذي خلق \* خلق الإنسان من علقي \* اقرًا وربِّك الأكَرَمُ \* الذي عَلِمَ بالقلمِ \* عَلِمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»<sup>(1)</sup>.

تأمر الآيات المباركات التي ﷺ، ومن بعده الأمة بالقراءة وسواء كانت قراءة الآيات التكوينية أو قراءة الآيات التشريعية فهي مسؤولية هذه الأمة، والدعوة إلى التفكير في أمر الخلق.

هذه الأمة التي هي أمة أقرأ، أمة الثقافة والعلم؛ خير أمة يفترض في كل شيء تعيش واقعاً ثقافياً متحللاً ووضعاً علمياً

(1) العلق: 1 - 5

متاخرًا لا يحتاج المتأمل إلى كثير عناء لكي يلاحظه.

لكتنا سنتعرض إلى بعض تلك المظاهر:

### أولاً - فقر الإنتاج العلمي والفكري:

فمن أبرز المظاهر التي نلاحظها في تخلف الأمة، فقر إنتاجها الفكري والعلمي..

كيف يعرف مصنع أنه ناجح أو غير ناجح؟ عندما يصنع المادة المطلوبة منه بكفاءة جيدة ويعرضها السوق بكمية مناسبة عندئذ يقال هذا مصنع ناجح يصنع المادة والسلعة بكفاءة ويسوقها بكمية كبيرة. لو تطلعت إلى الإنتاج الثقافي والعلمي والفكري في أمتنا الإسلامية ماذا ستجد؟

سوف تجد هذه الأمة أمة مستهلكة أمة متبضعة، في الثقافة والمعارف.

نأتي ببعض الأمثلة: جامعاتنا ومعاهد الدراسات العلمية العالية، ماذا تدرس من نظريات؟ هل هي من إنتاج هذه الأمة أو أنها نظريات تم استحضارها واستيرادها<sup>(١)</sup> من خارج الحدود. سواء في ذلك العلوم التطبيقية والعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية..

إذا كانت هذه الأمة تدرس ما ينتجه الآخرون فذلك يعني أنها متسوقة متبضعة مستوردة لا إنتاج فيها.

أحد مظاهر التخلف الثقافي في الأمة والخلف العلمي أنها لا تستطيع إنتاج حاجتها من العلوم والمعارف بل حتى في الأمور الثقافية

---

(١) ينفي أن نشير إلى أنه لا عقدة لدينا من استيراد المعرفة والعلوم، وتعلمهما من الآخرين، فـ (الحكمة ضالة المؤمن من وجدها أخذها). (وأعلم الناس من جمع علوم الناس إلـ علمـه).

الدينية لا يوجد إنتاج مناسب لشأن الأمة من المعرفة والثقافة. ولو أردنا أن نتكلم بلغة الأرقام أنقل لك - عزيزي القارئ - ما ذكره تقرير التنمية الإنسانية في العالم العربي، ونحن نختار العالم العربي باعتبار أن هذا العالم أخرى أن يكون متقدماً على بلاد المسلمين لأن بصائر القرآن وثقافة الوحي هي بهذه اللغة فالطريق أمامه مختصر.

المسلم في إندونيسيا أو باكستان أو بريطانيا أمامه عقبة اللغة لا بد أن يتجاوزها حتى يتعرف على ثقافة الدين. بينما الإنسان العربي لا يحتاج إلى ذلك فهي لغته الأم.

#### \* ميزانية البحث العلمي:

يعرف تقدم كل مجتمع في مجاله العلمي والمعرفي بمقدار ما يصرف من ميزانية على البحث العلمي وبقدر عدد المشتغلين في مراكز البحث العلمي.. وحسب هذا التقرير فإن ما يصرفه العالم العربي على البحث العلمي معدل 62% فقط من ميزانيته. في الوقت التي تصرف بعض دوله على التسلح 30% من الميزانية! البحث العلمي هو الذي يصنع التقدم بينما السلاح لم يصنع التقدم بل لم يصنع - بذاته - نصراً.

العدو الإسرائيلي يصرف على البحث العلمي أكثر من 16% من ميزانيته وهو دولة محاربة على خط النار مع كل الدول العربية بينما الدول العربية لا تصرف سوى 6% وهذه النسبة - على قلتها - لا تصرف في البحث العلمي وإنما يصرف نصفها في أمور جانبية كعدد كبير من الموظفين البيروقراطيين، والأثاث، والبنيات وما شابه.. ويقع للبحث العلمي المغض مقدار 1% من كل الميزانية!

## \* عدد الذين يعملون في المراكز العلمية:

معدل العاملين في مراكز البحث العلمي، في الدول العربية هو معدل 379 باحثاً لكل مليون إنسان. بينما المعدل الأدنى العالمي المقبول أن يكون 1000 باحث لكل مليون إنسان أي واحد بالألف، بينما في بلادنا العربية ٣٪ واحد في الألف!

## \* إنتاج الكتاب في العالم العربي:

الإحصائيات تقول أنه في سنة 1991 ميلادية كان عدد عناوين الكتب التي طبعت في البلاد العربية جيغاً 6000 عنواناً! كم هي نسبة هذا الرقم لعدد سكان العالم العربي؟ الذي يتجاوز ثلاثة مليون كما في بعض التقديرات.

نفس السنة أتحت أميركا - وهي التي يقارب عدد سكانها عدد سكان الدول العربية مجتمعة - 100000 (مائة ألف) عنوان كتاب.. هذا من حيث عدد العناوين.. وأما مقدار ما يطبع هنا وما يطبع هناك؟ في البلاد العربية إذا طبع من كتاب خمسون ألف نسخة فذلك يعتبر عدداً استثنائياً كبيراً.. وأما هناك فالأرقام مليونية في كثير من الأحيان..

فأنت ترى أن الأرقام تفضح التقصير، وتفضح عن لزوم التغيير وذلك بالتركيز على إعطاء الاهتمام للتفكير، وإعطاء الاهتمام للبحث العلمي.

## كيف نحصل على التنمية؟

عندما رأى بعض العرب والمسلمين الهند - مع ما هي عليه من الفقر - قد وصلت للتقنية النووية (السلمية والحربية)، طرحت هذا السؤال على العالم الإسلامي والعربي، فكان أمامهم أحد طريقين:

طريق المعرفة والبحث العلمي وإعلاء قيمة الثقافة والفكر وأن يعملوا على مدى 20 سنة..

والطريق الآخر: استيراد التكنولوجيا والوسائل عن طريق استيراد المصنع بكامله! فاحضروا المصنع من هناك وركبوه هنا! فصار لدينا مصنع بتروكيماويات، ومصنع سيارات.. وهكذا.

غير أن هذا المصنع كان له عمر افتراضي، ويصنع سيارات ذات عمر افتراضي فتخدم مثلاً (5) سنوات بشكل جيد، بعد 5 سنوات تطور العلم في أماكن أخرى فأصبحت السيارة العادية أوتوماتيك، والتي كانت تستهلك وقوداً أكثر طورت لستهلك أقل، وطورت عوامل الرفاهية والسلامة والأداء كل ذلك بناءً على وجود باحث علمي، ومهندس متخصص متفرغ لهذه العملية فيتطور المصنع يوماً بعد يوم.

في بلادنا ما الذي حدث؟ هذا المصنع الذي أحضروه صار بعد سنوات حديد خردة وعبيداً على البلد، فلا أنت قادر على تطويره لعدم الباحث المتخصص، ولا هو قادر على أن يلبي الحاجات المتطورة.

لقد كان الخطأ في التفكير أن الحضارة هي الوسائل والأشياء وأن مشكلتنا هي نقص تلك الوسائل، بينما كانت المشكلة في أزمة الأفكار كما يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي.

## ثانياً - شيوخ فكر الخرافية والأسطورة:

هذه أيضاً من مظاهر التخلف التي لا تزال إلى الآن تفعل فعلها المخرب والمفسد في فكر الأمة. وأحياناً ينشر هذا الفكر (علماء دين) أو متلبيسون بهذا العنوان.

عالم السحر شائع في بعض مجتمعاتنا وأكثر تأثيراً في عقول أبنائنا من أي قاعدة ثقافية! فالشخص تحدث لديه مشكلة نفسية أو اجتماعية أو عائلية فيتبارد إلى ذهنه أولاً أنه مسحور، يقال: تلبسه جن!! وعلى أثر ذلك أصبح عندنا (خبرات) في هذا الشأن! علماء يأتون ويتكلمون مع الجن ويتخاطبون معه وبعضهم يعرض عليه العقائد الحقة ويسلم ثم يزوجه!!

نقلت بعض الصحف عن بعض هؤلاء أئم زوجوا جن!!

تشبع بعض أبناء الأمة بهذه الحالة الأسطورية الخرافية، وكلما ذهبت الأمة وراء الأسطورة ركلت عقلها.. وهكذا نجد مظاهر التكنولوجيا موجودة لكن العقلية متخلفة، قشرة الحضارة موجودة ولبها وروحها غير موجود، القنوات الفضائية موجودة لكنها هي التي تعمق حالة الخرافية والأسطورة والغياب في سماء الأمة وفضائلها.

الأبراج وبرامجها هي الأكثر متابعة لدى البعض، وهي عنوان من عناوين الغياب عن الواقع ومعادلاته بحيث صار التقدم والتراجع والربح والخسارة والنجاج والفشل ليس مربوطاً بسعى الإنسان كما يقرره القرآن وإنما ارتبط ببرج الحمل والعقرب.. أين هذا من «وَأَنْ لَيْسَ لِإِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنْ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلُ فِيهِ»<sup>(١)</sup>.

وحق يتبيّن إلى أي مدى وصل تصديق الخرافية والبناء الفكري عليها، أُنقل لكم ما نشره موقع العربية على الإنترنت، كان هناك خبر ومعه صورة لخلوق: الوجه والرأس فيه بشكل عنزة والجسم لامرأة والأطراف أطراف حيوان آخر، والتعليق عليها أنها امرأة

---

(١) الحجم: 39 - 41

عمانية عصت الله فمسخها الله بهذه الطريقة التي ترون..

واستقطب هذا الخبر أكثر التعليقات بالقياس إلى بقية الأخبار السياسية، والمقالات الثقافية، وقد ذهبت في ذلك مذاهب مختلفة، بعضهم قال: نعم هذا جزء من يعصي الله ونحن أنذرناكم! أحدهم قال إنه بسبب أميركا وتدخلها في عالمنا الإسلامي، ثالث قال: حدث هذا في عمان لأن مذهبهم مذهب فاسد..

لكن أطرف وأآخر تعليق قال: هذا الخبر خبر مكذوب أصلاً، وهذه الصورة صورة مركبة، ولا يوجد لها حقيقة، إذا كنتم تريدون الحقيقة اذهبوا إلى الموقع الفلافي وذكر عنوان الموقع وتبين أنه موقع لفنانة أسترالية تصوّر تخيلًا لو حدث نسل بين الإنسان والماعز ماذا تكون صورة المولود؟ لو حصل تنااسل بين الفرس وبين الإنسان ماذا سوف يحدث؟ هذا لا يمكن أن يحدث ولكنه تخيل، وهذه الفنانة تعرض صوراً افتراضية حسب ذوقها الفني.

وهذه واحدة من الصور أخذها أحدهم وقال إنما لأمرأة عمانية عصت ربها والقراء تبرعوا بالتعليقات مما يشير لميل هذه العقول إلى الغبيات والأساطير.

إذا تحدث مفكر أو مبتكر عن قضية ضمن القواعد العلمية فإنه لا يُشير هؤلاء الناس ولا يستقطب تفاعلهم واهتمامهم، لكن لو أتى غيره بشيء غريب لا يصدق كالخبر السابق، ترى قسماً من الناس يركضون وراءه ولهذا فإن بعض الدعوات السخيفية قد نجحت في تحنيط أتباع لها. ما أنت تجد بين فترة وأخرى دعوة إلى شيء خرافي، انظر في المكان الفلافي ستري صورة أحدهم!! صورة نبي أو وصي أو العالم الفلافي وتعجب أن قسماً من المتعلمين كيف يسيرون وراء هذه الأمور! وكثيرة هي الأمور الخرافية ولو استعرضناها لطال بنا المقام.

## العقل نقطة المركز في فكر أهل البيت:

في المقابل نحن نرى أن أهل البيت عليهم السلام قد جعلوا للعقل مركبة عظمى، فمن كلام الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) لهشام ابن الحكم هذه العقلية الجبارية والفيلسوف العظيم..

(يا هشام اعرف العقل وجنته، والجهل وجنته تكون من المهتدين، قال هشام: فقلت: جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا. فقال عليه السلام: يا هشام إن الله خلق العقل وهو أول خلق خلقه الله من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له: أذير، فأذير. ثم قال له: أقبل فأقبل. فقال الله عز وجل: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقى. ثم خلق الجهل من البحر الأجاج الظلماني، فقال له: أذير، فأذير. ثم قال له: أقبل، فلم يقبل. فقال له: استكريت فلعلنه<sup>(١)</sup>).

أتدري متى تنحدر الأمة؟

عندما يأتي أحد علمائها فيقول: إذا وصلنا نقل الرواية بسند صحيح وعارضها صريح العقل نضرب العقل بعرض الحائط فإننا أناس نعبد بما ورد عن النبي! هكذا قال.

ونقول إذا كان الذي ورد عن الرسول ﷺ فيه كم هائل من المكذوب والمفتعل وقد أخبر عنه ﷺ بقوله ستكثر علي الكذبة.. ما يدريك أن هذا ليس من ذاك، ولا ينفع في الأمر مجرد أن يكون بسند صحيح، يحتاج إلى عرض على القرآن، وأيضاً على الأصول الدينية العامة، وعلى العقل. وسيأتي الحديث عنه.

---

(١) تحف العقول - ابن شعبة الحراني، ص 400 - 401.

### ثالثاً - الاهتمام بالماضي والافتخار به:

من مظاهر تخلف الأمة الثقافى والفكري حالة الاهتمام بالماضي والافتخار به على طريقة:

أولئك أبائي فحثني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير الجامع.

عندما يستحدث العالم المعاصر عن ابتكاراته النظرية والعلمية واختراعاته التطبيقية والعملية في هذا الزمان نتحدث نحن عن أمتنا كانت هي السابقة وأن علماءنا كانوا قد أسسوا العلم بينما كانت أوروبا تغرق في ظلام الجهل.

وهذا صحيح في حده التاريجي وأن أولئك قاموا بما كان ينبغي منهم وما كان مناسباً لهم ولكن ماذا عن الحاضر «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ...»<sup>(1)</sup>.

هذه الحالة مع الأسف تحكم في طبقة عريضة من أبناء الأمة، حيث تجد هذه الطبقة أن الصورة المثالبة للأمة أن تعيش في عصر صحابة النبي ﷺ ولو استطاعت أن تعيد هذه الأمة من واقعها المعاصر إلى زمن الصحابة لفعلت ذلك كما حاولوا في تجربة طالبان وكما يحاول غيرهم في تجارب أخرى معتمدين على مقدمتين كلياتهما خطأة:

المقدمة الأولى: أنه بالإمكان أن يعود الزمان بحيث ترجع هذه الأمة التي تعيش في القرن الحادى والعشرين الميلادى إلى القرن السادس الميلادى.

والآخرى: أن هذا هو الأفضل وأن الوضع الذى عاشته الأمة في العصر الأول هو الوضع الأحسن.

---

(1) الأعراف: 169.

وأقول: كلتا المقدمتين خاطئة فلا يمكن لأمة تعيش في هذا الزمان أن تعود إلى الوراء أربعة عشر قرناً ولو أمكن ذلك فليس ب صحيح أيضاً من الذي يقول أن ذلك العصر هو أفضل من هذا العصر؟ وأي دليل على ذلك؟ إن الصورة المثالبة الخاطئة التي تنسج حول ذلك العصر وكأن أبناءه أبناء الله أو ملائكة مُرسلون من عالم الغيب ليس بينهم شحنة ولا بغضاء ولا يوجد عندهم حقد ولا يتبعون مصالحهم ويطبقون الدين بمحابيه ويعملون ما أمر الله به بصورة كاملة.. هذه صورة كاذبة غير حقيقة<sup>(1)</sup>.

ذلك العصر كان فيه سلام وحروب، كان فيه وفاء وخيانة، طاعة ومعصية، إحساء وبغضاء! لم ينزل أبناء ذلك العصر من السماء ولم يكونوا رسلاً من الملائكة بل كانت تحكم

---

(1) بدأ بعض المفكرين المسلمين في الآونة الأخيرة ينتهون إلى هذه النتيجة وأفها فساتح معرفي منهم، ففي مقال له في جريدة الوطن الكويتية بتاريخ 1/31/2005 طالب د. عبد الحميد الأنصاري أستاذ الشريعة في جامعة قطر بنزع القدسية عن تاريخ الصحابة وتخليل حياتهم ضمن ظروفها الطبيعية، لكونهم بشراً يخطئون ويتحاربون، وأكد على هذا الكلام في حواره مع قناة العربية الفضائية حيث جاء فيه: يجب أولاً أن نفرز الدين عن التاريخ، الدين معطى مقدس أما تاريخ المسلمين مثله مثل أي تاريخ لأي أمة.. أما تاريخ المسلمين فهو تجارب، اختلاف الصحابة على السلطة، الصحابة بشر يصيرون ويخطئون لهم أطعماً و لهم طموحات، كون أن الأنصار يريدون خليفة وكون أن المهاجرين يريدون خليفة، كون معاوية حارب يعني الإمام علي هذه خلافات بشر، فيجب إزالة القدسية والعصمة عن ذلك، أما نقول ما شجر من خلاف أو ما حصل من خلاف هذا لا نتكلم عنه حتى لا نمس القدسية هذا أخطر شيء، نحن يجب أن نبني التهجيجي، المسلمين ليسوا بدعة من بين الأمم.. وشنان بين هذا الكلام وبين ما قاله بعض العلماء المعاصرین من أن: (تقديس الصحابة هو الركن السادس في الإسلام)! راجع العربية نت يوم 22/4/1428.

في بعضهم التوجهات الدينية كان بعضهم لم يدخل الإيمان في قلبه<sup>(1)</sup> كان هناك مؤمنون ومنافقون<sup>(2)</sup>.

قد يقول قائل ما تصنع بحديث (عن رسول الله: خير القرون فرنى ثم الذين يلوخكم ثم الذين يلوخكم؟) فنقول أولاً: لم تتحقق صحة هذا الحديث.

وعلى فرض صحته فلا بد من تقديره بما ورد عن رسول الله ﷺ من أن من أصحابه من سيرتد، وأنهم سوف يُدفعون عن الحوض إلا مثل همل النعم (تعبيراً عن القلة) فلا بد من تقديره بأن ذلك القرن هو الأفضل ما لم يغروا أو يدلوا، أو في خصوص أولئك الذين لم يدلوا.

على أن (هذه المرويات لو صحت لا تدل على أنهم قد بلغوا من الدين مبلغاً يعصيهم عن اتباع أهوائهم وشهواتهم، ويدفعهم إلى الامتنال واحتساب المحرمات، ومن الجائز أن يكون الثناء عليهم باعتبار أن صحبتهم للنبي والتفافهم حوله يشكل بمجموعة متماسكة لحماية الإسلام من أخطار الغزو المرتقب في كل لحظة من داخل البلاد وخارجها، هذا التكتل باعتباره من مظاهر القوة التي يمكن سير الدعوة كان محبوباً لله سبحانه. مع قطع النظر من خصوصيات الأفراد التي تخص كل واحد من حيث تصرفاته وأعماله. هذا بالإضافة إلى أن حديث لا تسبو أصحابي، وأصحابي كالنجوم. هذا الحديث من حيث اشتغاله على صيغة الجمع، لا يتعين للشمول والاستيعاب، بل يصح منه ولو بالنسبة إلى المخلصين في ولائهم

(1) «...ولمَّا يَدْنُشِلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...» [الحجرات: 14].

(2) «وَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِّنَ الْأَغْرَابِ مَنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْفَقَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْنُّ تَعْلَمُهُمْ...» [التوبه: 101].

العاملين بأوامر الله المتمسكون بسته وسيرته، ولا ينكر أحد وجود مجموعة كبيرة بين أتباعه، قد قفوا في خدمة الإسلام، وأخلصوا في أعمالهم وجهادهم طمعاً في مرضاه الله وثوابه، والحديث ونظائره على تقدير صدوره من النبي لا بد وأن يكون ناظراً إلى تلك الفئة من بين أتباعه، ومن غير المعقول أن يقصدهم النبي ﷺ على جهة العموم، وهو المخاطب بتلك الآيات التي وصفت فريقاً منهم بالتفاق والبعي وفريقاً بالتأمر على حياته وإحباط جميع مسامعه وجهوده التي بذلها في سبيل الدين وتشييع دعائمه، من غير المعقول إذ يقصدهم جمِيعاً من تلك النصوص، ويقف موقف المدافع عنهم المحامل لهم، والآيات الكثيرة تنادي بتفاقهم، وتكتشفهم على واقعهم كي لا يغتر بهم أحد من أصحابه الطيبين، وحق لا تكون الصحبة ستاراً لأصحاب الشهوات والمطامع يستغلونها لأغراضهم ولكي لا تكون للصحابي تلك الحصانة التي تمنع من نقده وتجريحه..<sup>(1)</sup>.

على أن الأحداث التي حدثت في القرن الأول - من الناحية الزمنية - تعتبر أشد الأحداث مأساوية في تاريخ المسلمين فهو الذي وقعت فيه حروب وصل عدد ضحاياها إلى ما يزيد على مئة ألف من المسلمين في وقت كان لقتل شخص لا بد من ضربة سيف! ليس كما هو الحال الحاضر حيث قبلة واحدة تقضي على عشرة ومائة وألف!

ولا يغير الحال لو فسرنا القرن بغير الفترة الزمنية، وقلنا إن المقصود منه هو الجيل، وبالتالي صحابة النبي أفضل، ثم التابعون.. وهكذا، فإن ما وقع من القتال والتشارم والتلاعن بين صحابة النبي فضلاً عن التابعين مما يراه كل ناظر إلى التاريخ ويتعجب منه، وإذا

---

(1) دراسات في الحديث والحدثين - هاشم معروف الحسيني، ص 79 - 80.

كان هؤلاء بهذه الصفات هم خير القرون والأفضل، فكيف يكون غيرهم؟

إنه يعتقد أن هذه الفكرة منشئين، أحدهما محاولة تنزيه الصحابة وتقديسهم، وحل المشكلة الفكرية التي يستدعيها وضعهم غير المنسجم، فلا بد من طريق يغلق فيه باب التفكير، وهو التقديس والتنزيه وأن (ترك ما شجر بينهم) وأن لا يتحدث أحد فيه!

وثانيهما: فكرة الاحتماء بالماضي والعودة إليه وهي في الواقع تعبير عن الإفلات والتخلّف.

الأمة التي تعيش أزمة في حاضرها وتعيش ضبابية في رؤية مستقبلها تلّجأ إلى الماضي لأنها تستطيع أن تصوّره بصورة حسنة، تماماً على طريقة الناجر المفلس يبحث في الدفاتر العتيقة والمدونات القديمة عن دينه على الآخرين لأنّه مفلس الحاضر ولاأمل له في المستقبل.

لماذا تجد أن الكتاب العربي والإسلامي الرائع هو الكتاب التراثي، الكتاب الذي ألف قبل سبعمائة أو تسعمائة سنة بينما الكتاب الذي يؤلف اليوم ليناقش المستقبل لا يجد له قراء؟ وإذا أراد ناشر أن ينشره لحسابه الخاص يقدم فيه على مغامرة؟ إنما ذلك لأن هذه الأمة أمة تراثية أمة تقرأ ما كان في الزمن الماضي لا تريد أن تفكّر بالحاضر فضلاً عن أن تطلع إلى المستقبل.

ولذلك فإنّ الذي يفكّر تفكيراً تجاريّاً، إنما يقوم بطبع تلك الكتب التراثية بغض النظر عن منفعتها الفعلية، فإن لم يربح في هذا البلد يربح في غيره، وأنت لم يشتري الرجال تشتريه النساء..

## لا للقطيعة التامة مع التاريخ:

لا يخفى أبداً لا نريد أن نقطع الصلة بالماضي بالكامل هذا لا أحد يقول به فالقرآن الكريم وهو كتاب الحاضر والمستقبل يوجه الأمة إلى رسالات الأنبياء السابقة وإلى الماضي لكن لا لأجل الافتخار الأجوف والمباهة ولا لأجل التكاثر وإنما لأجل أن يعرف الإنسان كيف تقدمت تلك المجتمعات وكيف تختلف حتى ينطلق من مسيرته من مواطن القوة والتقدم ويترك جوانب التأخر والإعاقات جانباً.

ونقول: إن هناك نظريتين للماضي، فتارة يكون الماضي محطة انطلاق ومدرسة وعبرة وأخرى يكون كهفًا يُلْجأُ إليه ومكاناً يستظل به وراء يستدفأ به. هذه النظرة هي التي تصنع من الأمة أمة ماضوية متاخرة وأمة غائبة عن واقعها.

عندما تجد أن عالماً من علماء المسلمين قبل سبع مئة سنة يطلق أحکام التكفير ضمن ظروف معينة في ذلك الزمان ولكنها إلى الآن لا تزال تحرك مجتمع من أبناء المسلمين ليكرر بعضهم بعضاً، فيغيب هذا الإنسان من رؤية ما حوله، والحال أنه يستطيع أن يتعرف على واقعهم مباشرة وبصورة واضحة، فيترك هذا ويعتمد على أن فلاناً قال أن هذه الفرقة منحرفة مبتدعة لأن عندم قرآناً غير قرآن المسلمين. وأنهم كذا وكذا.. فيسير جيل هذا الزمان بتفكير كان قد أنتج قبل سبعمائة سنة سابقة، هذه الحالة هي من مظاهر التخلف الثقافي والفكري.

إن ثقافة كل أمة ينبغي أن تنتج في زمانها لكي تجib على إشكالات ذلك الزمان ولكي تعالج مشاكل ذلك العصر. كل عصر جديد يحتاج إلى ثقافة جديدة وفكر ومعالجات مناسبة له، وربما استفادت من الماضي ولكن لا تستطيع أن تكون أسيرة له.

## هـنـاـكـ أـسـبـابـ التـخـلـفـ

### الجانب التربوي

دعنا نناقش شيئاً من أسباب التخلف في الأمة: لماذا كان هذا التخلف الثقافي؟ لماذا حصل هذا التأخر بهذا المقدار؟

هـنـاكـ أـسـبـابـ كـثـيرـةـ وـلـكـنـاـ هـنـاـ سـوـفـ تـحـدـثـ عـنـ الجـانـبـ التـرـبـويـ.ـ فـتـسـاءـلـ فـيـ هـذـاـ الجـانـبـ هـلـ أـجـيـالـ الـأـمـةـ تـنـشـأـ تـنـشـةـ تـنـهـيـ إـلـىـ الـانـطـلـاقـ أـوـ تـنـشـأـ تـنـشـةـ تـدـعـوـهـاـ إـلـىـ التـرـاجـعـ وـالتـخـلـفـ؟ـ مـعـ الـأـسـفـ يـمـكـنـ القـوـلـ أـنـ التـنـشـةـ الـتـيـ حـصـلـتـ عـلـيـهـاـ أـجـيـالـ الـأـمـةـ فـيـ الـغـالـبـ كـانـتـ تـنـهـيـ إـلـىـ التـخـلـفـ.

### - ما هي الثروة؟

لو سـأـلـنـاـ شـبـابـ الـأـمـةـ عـنـ مـاـ هـيـ الـثـرـوـةـ الـحـقـيقـيـةـ لـلـفـرـدـ وـالـمـجـمـعـ؟ـ فـإـنـهـ يـتـمـ الـحـدـيـثـ حـالـيـاـ عـنـ أـنـ الدـوـلـ الـخـلـيـجـيـةـ مـثـلـاـ دـوـلـ ثـرـيـةـ..ـ لـأـنـهـ يـسـوـجـ لـدـيـهـاـ الـنـفـطـ الـخـامـ الـمـخـزـونـ تـحـتـ الـأـرـضـ..ـ وـبـعـضـ بـلـادـ الـمـسـلـمـينـ لـدـيـهـاـ مـعـادـنـ أـخـرـىـ كـالـفـوـسـفـاتـ،ـ وـالـنـحـاسـ،ـ وـالـذـهـبـ..ـ إـلـخـ.ـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـعـدـلـ فـإـنـ هـذـاـ الـبـلـادـ بـلـادـ ثـرـيـةـ لـأـنـ لـدـيـهـاـ مـقـادـيرـ هـائـلةـ مـنـ الـمـوـادـ الـخـامـ الـتـيـ تـأـتـيـ بـالـعـلـمـةـ الصـعـبـةـ..ـ

هل فـعـلاـ الـمـوـادـ الـخـامـ ثـرـوـةـ؟ـ أـوـ الـمـعـرـفـةـ هـيـ الـثـرـوـةـ؟ـ

يـتـحـدـثـ الـبـاحـثـونـ عـنـ أـنـ الـاـقـتـصـادـ الـذـيـ يـقـوـمـ عـلـىـ أـسـاسـ استـنـضـابـ الـمـوـادـ الـخـامـ كـمـاـ هـوـ الشـائـعـ فـيـ أـكـثـرـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ هـوـ سـبـبـ

من أسباب تخلفها التنموي والاقتصادي<sup>(1)</sup>، وأنه سوف ينتهي في يوم من الأيام عندما تنتهي أو تتناقص هذه المواد الخام، وسترطم هذه الدول بالجدار.

متى تغير فكر الأمة على مستوى المجتمعات أن هذا النمط من الاقتصاد ليس هو الاقتصاد المطلوب! وأن اقتصاد المعرفة والعلم هو الأساس. ولعلنا نجد في تراثنا الإسلامي ما يدعم هذه الفكرة كالكلمة التي يقولها أمير المؤمنين علي عليه السلام: (يا كميل العلم خير لك من المال) المال يزول ويتهي؛ المال تنقصه النفقة، وأما العلم فيزكي من على الإنفاق، يزداد، ينمو، يكبر، هل الثقافة السائدة في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية فعلاً أن العلم خير لك من المال! كلا.

المثل الشعبي المأثور واللي يؤثر تأثيراً مباشراً على الكثير يقول: (عندك فلس تسوى فلس) في مقابل هذا كإنسان كوجود كمحلوق ماذا تساوي في هذه الأثناء؟ صفرًا!

هل يرضى الإنسان لنفسه هذه الإهانة أن يقول إن وجودي يساوي صفرًا! عقلي يساوي صفرًا، قدرتي تساوي صفرًا.

ينقولون أن هارون الرشيد استدعي بخلول، وقد كان أحد العلماء لكن طلب للقضاء فقر بدینه وأظهر الجنون! استدعاه هارون الرشيد يوماً وقد لبس أفحى ملابسه، قال له: كم أنا عندك، كم أساوي عندك؟ تطلع بخلول إليه، فقال: مئة دينار، فغضب وقال: وبمحك ملابسي قيمتها مئة دينار! قال: هو ما أردت! يعني أنت لا تساوي غير الملابس التي تلبسها.

متى ما تحول في وعي هذه الأمة أن العلم خير للأمة من المال،

---

(1) تقرير التنمية الإنسانية العربية عام 2003م.

وأن المعرفة هي الركيزة والفرضية الغائبة ترقب أن يحصل تقدم وتنمية، وعلو هذه الأمة وهذا يحتاج إلى تربية خاصة. تربية لا تجعل الغني الأمي أعلى منزلة في المجتمع من الأستاذ الجامعي.

وإذا أهملت الأمة الفكر ولم تعن بالمعرفة فإنها تصبح طعنة المتأمرين والمستغلين السياسيين، يذكر أحد الكتاب هذه القصة المغيرة: كان مقرراً أن تجري انتخابات في إحدى المناطق وكان أحد المرشحين المتنافسين في هذا الموقع مثقفاً لديه أفكار تقدمية و برنامج اجتماعي لكنه لا يملك أموالاً كثيرة بينما كان الطرف المنافس له شخص عنده مال وليس له معرفة، فكر هذا الثاني أنني إذا تركت منافسي يتحدث مع الناس سوف يتذرون ويتعلمون وبالتالي سيفوز فماذا أصنع؟

جمع أهل المنطقة قال لهم: هذا فلان المرشح شخص ديمقراطي، ولكنه هل تعرفون معنى الديمقراطية؟ قالوا: لا نعرف معناها! أجاب: الديمقراطية تعني: أن المرأة لا يكون لها زوج واحد بل يصبح لها عشرة أزواج يشتراكون معه فيها! ولا أحد يقف أمامهم. هذا المرشح يدعوا إلى الحرية، هل تعرفون معنى الحرية؟ الحرية تعني أن يمارس كل واحد المنكرات ولا أحد يعترض، يعني لو أراد أبناؤك فعل الفاحشة مع بناتك فلا أحد ينكر عليه، لأنه حر، هذا معنى الحرية، فاذهبوا واسألهوا إن كان يؤمن بالحرية والديمقراطية أو لا؟

ذهبوا إليه وسألوه، فقال: نعم وأفخر أنني أؤمن بالديمقراطية والحرية.

وكانت النتيجة واضحة يوم الانتخابات، فقد فشل هذا المفكر والنافع للمجتمع بينما فاز ذلك المزور.

لقد تم سوق هذه المجموعة البشرية إلى مثل هذا المصير لعدم وجود الوعي والثقافة.

## أيناً وعلاقة مع الكتاب:

ما يرتبط بالجانب التربوي: العلاقة بين الطالب وبين الكتاب.. كيف نصنعها في المدرسة؟ وفي البيت؟ نحن نخلق في الغالب علاقة متشنجـة بين الشاب وبين الكتاب.

العلاقة علاقة قطـيعة، فالطالب يرى الكتاب - عبر ممارسات متعددة - تحدياً له، لأنـه إذا لم يحفظ هذا السطر يحصل على ضربة على رأسه من المدرس، وإذا تعـر في الحصول على درجة جيدة في الامتحان حصلـت له مشكلـة مع والده، وإذا لم ينجز وظيفـة المدرسيـة ينتهي إلى سخـريـة المدرس أو المدير منه، وتـراكمـ هذه الأمور يومـاً بعد يومـ، وسنة بـعد أخرىـ، فـتجعلـ الكتابـ في ذـهنـ الطـالـبـ عنـوانـاً للـتحديـ، ولـافـةـ للـعقـابـ ولـلفـشـلـ، إـلاـ القـلـيلـ منـ يـسـتطـعـ أنـ يـتـحاـوزـ هذهـ العـلاقـةـ.

هل راقتـ يومـاً ماـ الذيـ يـحدثـ عندـ خـروـجـ الطـالـبـ منـ قـاعـةـ الـامـتـحـانـاتـ النـهـائـيةـ.. ماـذاـ يـصـنـعـ الطـالـبـ بـالـكـتابـ؟ هلـ يـقـولـ الطـالـبـ هـذـاـ كـتابـ جـيدـ دـعـنيـ أـحـفـظـ بـهـ فيـ مـكـانـهـ المـنـاسـبـ؟ حتىـ طـرـيقـةـ رـمـيـهـ يـرمـيـهـ عـالـيـاـ فيـ الفـضـاءـ حتىـ يـتـمـزـقـ! أوـ يـأخذـهـ وـيـقطـعـهـ بـيـدـهـ مـسـتـمـتعـاـ.. هلـ هـيـ عـلـاقـةـ وـ(ـخـيرـ جـلـيسـ فيـ الزـمانـ كـتابـ)ـ؟

هـذـاـ عـنـ الـكـتابـ المـدـرـسيـ.. ماـذاـ عـنـ غـيرـهـ؟

كمـ يـقـرـأـ الطـالـبـ الجـامـعـيـ منـ الـكـتبـ؟ وـكمـ نـسـبةـ منـ قـرـأـ كتابـاـ إـضـافـياـ غـيرـ كـتبـ المـنهـجـ الـدـرـاسـيـ الجـامـعـيـ؟ لـقـدـ أـخـذـتـ عـيـنةـ عـشوـائـيـةـ منـ جـامـعـةـ دـمـشـقـ تـبـلـغـ أـلـفـ شـخـصـ.. وـتـبـينـ أـنـ الـذـينـ قـرـأـواـ كتابـاـ

واحداً وما فوق من تلك العينة خارج المنهج الدراسي 17% فقط  
وهو لاء نخبة المجتمع..

أما إذا أردت الحالة العامة فكم عدد الكتب التي يقرأها الإنسان  
العربي والمسلم في السنة؟

إحصائية أخرى تقول كما في تقرير التنمية الإنسانية العربية  
وصحف أخرى: إنه في الوقت الذي يقرأ الفرد الأميركي (11) كتاباً  
في السنة كمعدل عام، ويقرأ البريطاني (7) كتاب في السنة  
والإسرائيلي (6) كتاب.. يقرأ العربي ربع صفحة فقط!!

هذا المجتمع الذي يقرأ الفرد فيه ربع صفحة فقط في السنة كاملة  
كيف له أن ينهض.. لا بد أن تفكّر الأمة أن العلم هو ثروتها، وأن  
المعرفة هو كنزها..



# أثر الاستبداد في تخلف الأمة

## الجانب السياسي

يتناول هذا الموضوع جانبًا من أثر الاستبداد<sup>(1)</sup> في تكريس التخلف الثقافي والفكري في الأمة، ونقدم لذلك بعديمة هي أن هناك ميلاً لدى بعض الفئات في أمتنا العربية والإسلامية إلى إلقاء المسؤولية خارج الحدود، وإلى تعليق الأسباب على غير ما هو سبب حقيقي لها، فإذا سُئلت هذه الفئة لماذا تعيش الأمة هذا التخلف؟ سيكون الجواب سريعاً بسبب الاستعمار.

الاستعمار في نظر هؤلاء هو الذي صنع التأخر والتخلف في الأمة، إسرائيل هي التي شغلت الأمة عن العلم والمعرفة بالحرب فعطلت مسيرها تجاه التنمية والتقدم، مؤامرات الأعداء هي التي تمنع حركة الأمة باتجاه العلو والارتفاع، كيد الكفار هو الذي يُؤخر هذه الأمة والمؤامرة المستمرة من قبلهم هي التي تعيقها، وهكذا تسوق للك هذه الفئة أكواناً من الأسباب كلها تنتهي إلى الخارج وكأن التخلف صناعة خارجية وليس خاضعاً لقوله تعالى: «... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...»<sup>(2)</sup>.

يبينما يشير القرآن الكريم وتجارب الأمم إلى أن الأمة لا تتأخر إلا إذا كان بداخلها مرض يمنعها من التقدم ولا تختلف إلا إذا

(1) للتفصيل يمكن مراجعة كتاب: رؤى في قضايا الاستبداد والحرية - للمؤلف.

(2) الرعد: 11.

أرادت لنفسها أن تتخلف أو قبلت بمن يفرض عليها هذا التخلف، أما الأمة الوعية، النشطة، التي ترفض القعود والجمود وأفكار التكاسل واليأس هذه أمة لا يضرها كيد استعمار ولا مؤامرة عدو ولا غير ذلك.

الأمة في هذه الحالة مثل البدن الذي يصاب بالحمى والمرض، فإن الميكروب لا ينفذ إليه إلا عندما يجده فاقداً للدفاعات وعدم المناعة فينفذ إليه ويستوطن فيه.

أما إذا كان هذا البدن قوي المناعة آنذاك يصطدم الميكروب بجدار من المناعة فينكفه على عقبه. الأمة التي يوجد فيهاوعي لا يمكن للمستعمر أن يصنع فيها شيئاً مهماً، والتي تحمل المسؤولية لا يمكن لمؤامرات الأعداء أن تتحكم في مصيرها فالمشكلة مشكلة داخلية أولاً وبالذات، ثم بعد ذلك تأتي الأسباب الخارجية كعوامل مساعدة.

وإذا أُريد البدء في تنمية الأمة فلا بد أن نبدأ من الداخل ممثلين قول الله تعالى: «... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...» .. إذا غيرت الأمة ثقافتها ومارستها السياسية وشأنها الاجتماعي بحيث تحمل المسؤولية آنذاك - وليس قبله - فإن الله يغير ما بهما وما يجري عليها وهذا قانون عام.. (ذلك بأنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُغَيِّراً نَعْمَةً أَعْمَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) <sup>(1)</sup>.

مع الالتفات للآلية، فإن القرآن لا يقول على قوم مسلمين أو عرب أو في هذه المنطقة أو تلك وإنما يبين أن هذا قانون إلهي وسنة ربانية: إن المجتمع - أيًا كان - إنما يتغير ما به وأوضاعه الخارجية،

---

(1) الأنفال: 53.

إذا تغير ما بداخله من الثقافة والفكر من الاعتقادات والمنطلقات.

لذلك لا ينبغي أن نصدق بأن المشكلة هي في المؤامرات الخارجية بل المشكلة هي بالداخل، المشكلة هي عندي وعنده وعندنا وعنكم وعندها وعنهم وعندهم.

من جملة المؤثرات في بقاء التخلف في الأمة: الاستبداد.

الاستبداد شأن داخلي يؤثر في الأمة، فيكرس فيها التخلف والتأخير والتقهقر فلو نظرنا إلى الآية المباركة التي تقول: «... قال فرعونُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ».

وي ينبغي هنا ملاحظة أن القرآن الكريم يكثر من الحديث عن تجربة بني إسرائيل ولعل جهة ذلك أن التجربة التي خاضها المجتمع الإسرائيلي مع أنبيائه شبيهة بالتجربة التي سيخوضها المجتمع المسلم مع النبوة والإمامية فالملكون الشبيهة بين الشعبين متتشابهة، والمنطقة الجغرافية منطقة متقاربة وبالتالي فالتأثيرات العامة مؤثرات متقاربة لذلك يفترض أن أحد العبر والدروس من هذا المجتمع هو أكثر فائدة من أخرى من بقية المجتمعات.

فكان أن قدم القرآن الكريم تجربة المجتمع الإسرائيلي من خلال جهات متعددة.. راجعوا سورة البقرة سوف تجدون حديث مفصلاً عن هذا المجتمع بشكل عام كما تحدث في موضع آخر عن تجربة بعض الفئات في هذا المجتمع بنحو خاص مثلاً عن قارون وهامان وفرعون، تحدث عن رجال الدين المزيفين مبيناً أن هامان باعتباره واحداً من الكهنة وسدنة الدين الذين يمارسون دوراً سيئاً في تخدير الأمة وغهيد طريق فرعون لاستعبادها، تحدث عن أن القوة المالية يمكن أن تستتحول إلى قوة مدمرة عندما يطغى هذا الإنسان ويغطي ويتجاوز الحدود في صورة قارون وبين أيضاً أن السلطة السياسية

المستكيرة - متمثلة في فرعون - من الممكن أن يصل بها الأمر أن تدعى أن لا إله سواها ولا رأي إلا رأيها ولا صواب إلا عندها وأما الباقيون فكل كلامهم هراء وكل عقولهم هباء. «... مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى...».

يقول هذا المستبد: إنني أفتح نوافذ الرؤية والمعرفة في المجتمع بالقدر الذي أراه. بالطبع لن يكون ذلك المقدار إلا بنحو يدعم سلطة فرعون.. ولذلك فقد استنكر فرعون كيف أن قسمًا من الناس قد وصلوا معرفة من دون إذنه؟ كما ينقل القرآن في قضية السحرة «فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى»<sup>(1)</sup> لقد فتح لهم باباً محدوداً من المعرفة فإذا موسى وهارون يفتحان لهؤلاء السحرة أبواب المعرفة مشرعة ويريان السحرة قدرة الله الذي أودعها في عصا يابسة فانقلبت إلى ثعبان يلتف ما يوفكون.. كانت ردة فعل فرعون ماذ؟ «قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ...»<sup>(2)</sup> .. أنا الذي ما أريككم إلا ما أرى كيف تجاوزتم ذلك؟ «... فَلَا قَطْعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلَافٍ وَلَا صَبَّنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيْنَا أَشَدُ عَذَابًا وَأَبَقَى»<sup>(3)</sup>!

إن هذه العقلية «... مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيَكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ» وعلقية أن (الشيخ أخص - أعرف -) وأنه لا توجد معرفة ولا ثقافة إلا التي يملكها المستبد هي أسوأ آثار الاستبداد في تكريس التخلف.

(1) ط: 70.

(2) الأعراف: 123.

(3) ط: 71.

(وهذه هي حال كافة الطواغيت والجبارين على طول التاريخ، فهم يعتبرون كلامهم الحق دون غيره، ولا يسمحون لأحد في إبداء وجهة نظر مخالفة لما يقولون، فهم يظنون أن عقلهم كامل، وأن الآخرين لا يملكون علمًا ولا عقلاً... وهذا هو متنه الجهل والحمافة<sup>(1)</sup>.

إن كل مخلوق إنساني خلق معه عقل، ويحاسب على أساسه، حيث يستطيع أن يكتشف ويتأمل.. فما هو معنى (ما أريكم إلا ما أرى) يعني أن عقولكم مجتمعة أقل من عقلي منفرداً!! هذه الحالة التي ينتهي إليها الاستبداد هي من الأسباب التي كرسـت التخلف في واقعنا الثقافي في أمة العرب والمسلمين حالات الاستبداد الموجودة كيف ذلك؟

### الحاكمون الانقلابيون:

لو لاحظنا الفئة السياسية التي حكمت بلاد المسلمين في الفترات المختلفة لما وجدناها ناشئة من وسط معرفي أو ثقافي متميز وإنما نشأت في الغالب من وسط تقليدي قبلي أو وسط عسكري عبر الانقلابات وما شابه ذلك قد تقول: ما الفرق في النتيجة؟

الفرق هو إذا جاء أحدهم من وسط ثقافي أصبح الحكم يعرف قيمة الثقافة والمعرفة ويعرف كم هي نافعة للأمة فسيجعل كل جهده في هذا الجانب. أما إذا جاء عسكري مثلاً وأصبح قائد الأمة، أو جاء تقليدي لا يعرف قيمة العلم أو المعرفة، فسيتعكس ذلك بشكل واضح بنحو سلبي على موقعهما في حياة الأمة..

---

(1) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل 15/248.

بل لقد رأينا أن الحالة السياسية المستبدة التي سادت في بعض البلاد الإسلامية انتهت إلى طرد الكفاءات العلمية ولو بشكل غير مباشر وذلك أنه لو تحدث ذلك المفكر، والعالم الكفؤ، بما انتهى إليه فكره، فإن عقلية (ما أريكم إلا ما أرى) تمنعه. فإن سكت مات بغضته، وإذا تحدى صار شهيد كلمته ووعيه، فيختار البعض أن يخرج مهاجراً فيتوصل نزيف هجرة الأدمغة والعقول.

فقد تحدث تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003م، عن تنامي ظاهرة هجرة الأدمغة العربية مما يعني خسارة كلفة إعداد وتدريب هذه الكفاءات، كما تمثل فرصاً مضاعة من الإسهام في التنمية. فمن أصل 300.000 من خريجي المرحلة الجامعية الأولى من الجامعات العربية في العام الدراسي 1995/1996م يقدر أن نحو 25% هاجروا إلى أميركا الشمالية ودول السوق الأوروبية، وبين عامي 1998 و2000م غادر أكثر من 15000 طبيب عربي إلى الخارج. ويقدر أنه بحلول العام 1976 كان قد غادر البلدان العربية نحو 23% من المهندسين و50% من الأطباء و15% من حملة الشهادات الجامعية الأولى.

### أوضاع الفكر مع الاستبداد:

إن وضع الكتاب والفكر في أمتنا الإسلامية ليخلص مأساة الأمة فيسائر النواحي والجهات.

لقد أصبح الكتاب في كثير من المناطق حرماً يُضيّط به صاحبه! إحدى الصحف نشرت أن الشرطة الدينية في بلد مسلم، قد عرضت مضبوطاً لها للزائرين، ما هي هذه المضبوطات وشواهد الجرم؟ نسخة من الإنجيل وكتب لبعض المذاهب الإسلامية غير المتواقة مع المذهب الرسمي!

أئى لهذه الأمة أن تنهض من تخلفها وهي تعامل مع الكتاب كمضبوط جرمي؟ وفي بعض الحالات أسوأً مما تعامل به مع المخدرات والأسلحة؟ وصار يُتلف كما تلف السموم؟

لقد أشار رئيس اتحاد الناشرين العرب في إحدى مقابلاته إلى جانب من المشكلة عندما قال: أزمة الكتاب في العالم العربي أنه لا بد أن يمر على 22 رقياً مزاجياً! ونفس هذا الكلام جاء في التقرير الصادر عن الأمم المتحدة 2003 عن التنمية الإنسانية العربية.

ثم أي كتاب سيخرج إلى القراء إذا كان سيجتاز مزاجية اثنين وعشرين رقى؟ لكي يتجاوز كل هذه العقبات، لا بد أن يكون بلا لون ولا طعم ولا رائحة، فإن الرقيب التقليدي إذا رأى في الكتاب فكراً تقدماً منع دخوله، وإذا كان من مذهب معين وكان الكتاب ينبعث من فكر مذهبي آخر لم يسمع به، وهكذا لو كان ينتمي إلى جهة سياسية معينة، ورأى في الكتاب رائحة سياسية أخرى لم يقبل له.. وهكذا.

فأي كتاب بعد هذا يمكن أن ينحو من كل هؤلاء غير تفسير الأحلام؟ تفسير الأحلام ليس فيه لون ولا طعم ولا رائحة ليس مع أحد ولا ضد أحد لا يقدم ولا يؤخر، لا ينقل من السكون إلى الحركة، وإنما ينقله من اليقظة إلى النوم، يقول له: تعلم معدلات النوم والرؤى والأحلام..

ويستحب الإنسان كيف تقبل هذه الأمة بما يشبه الإخلاص الفكري والنظري؟ عندما تقبل بشخص أشبه الناس بالأمي، فيصبح رقيب الإعلام الذي يوجه ثقافة كل المجتمع ويتحكم فيها منعاً وساحراً، فيكون البروفيسور الكفوء، والاقتصادي الكبير والسياسي المخضرم والمفكر العالم.. كل هؤلاء، كتاباً لهم ونظرياً لهم تحت سيف

قلم هذا الإنسان الذي لا يقدر على كتابة سطرين إلا بالكاد! وأحياناً كثيرة لا يفهم ما هو المكتوب في الكتاب، ولا المقصود من سطوره، ولكنه يحتاط فيمنع الكتاب على أي حال!!

هذه ليست طرفة، وإنما واقع تعيشه الأمة مع الأسف. وهي نفس عقلية (ما أريك إلا ما أرى). وهذه المأساة تأتي لتكميل مأساة أخرى تم الحديث وهي فقر إنتاجها الثقافي والفكري.. فإذاً إلية، فإن ما ينبع لا يسمح له.

لقد جعلت منظمة (مراسلون بلا حدود)<sup>(1)</sup> حدوداً ومقاييس للحد الأدنى المعقول من حرية التعبير وانتشار الكتاب واستعرضت دول العالم وأي هذه الدول تحتوي على ذلك، وذكرت أسماء (50) دولة من دول العالم فلم يكن بين هذه الدول الخمسين أي دولة عربية واحدة!

وفي كل سنة يتم اختيار عاصمة من عواصم الدول العربية لتكون عاصمة الثقافة العربية<sup>(2)</sup>، ويقام فيها معرض للكتاب وندوات

(1) «لم تحظ أي دولة عربية بموقع ضمن الدول الخمسين الأولى»، فقد حل لبنان في الموقع 56، والبحرين في الموقع 67، والكويت في الموقع 78، والسلطة الفلسطينية في الموقع 82، والمغرب في الموقع 89، والجزائر في الموقع 95، والأردن في الموقع 99، ومصر في الموقع 101، والمملكة العربية السعودية في الموقع 105، وسوريا في الموقع 125، وسوريا في الموقع 126، وتونس في الموقع 128، وليبيا في الموقع 129، والعراق في الموقع 130. ولكن القائمة لم تتطرق إلى أي من قطر أو دولة الإمارات العربية المتحدة أما إسرائيل، فقد حلت في الموقع 92» عن تقرير منظمة مراسلون بلا حدود عام 2002.

(2) وكانت تجربة العواصم الثقافية العربية قد انطلقت في الوطن العربي بإعلان القاهرة عاصمة للثقافة العربية عام 1996، وتونس عام 1997 بناء على اقتراح من المجموعة العربية في اليونسكو خلال اجتماع اللجنة الدولية الحكومية للعربية العالمية للتنمية الثقافية (باريس: 3 - 7 أبريل 1995). وتواصلت هذه التجربة لتشمل مدينة الشارقة عام 1998، ثم مدينة بيروت عام 1999.

وتكرير مؤلفين، وانتخاب الكتاب الأفضل لتلك السنة، وضمن هذا البرنامج في إحدى العاصمـة العربية للثقافة، رشحت رواية لكاتب محلي بحسب تقييم النقاد كأفضل رواية لتفوز بالجائزة الأولى في الإبداع الأدبي، وكـرـم المؤلف في المعرض، وـتـمـتـ الإـشـادـةـ بالـرواـيـةـ!ـ إلىـ هـنـاـ وـالـخـبـرـ طـبـيعـيـ،ـ غـيـرـ أـنـ الغـرـبـ وـالـطـرـيفـ فـيـ الـأـمـرـ أـنـ تـلـكـ الـرواـيـةـ مـنـوـعـةـ فـيـ ذـلـكـ الـبـلـدـ وـغـيـرـ مـوـجـودـةـ فـيـ الـمـكـتـبـاتـ!ـ لأنـ الرـقـيبـ لمـ تـعـجـبـهـ أوـ لـمـ يـعـجـبـهـ مـؤـلـفـهـاـ!

جائزـةـ الإـبدـاعـ فـيـ عـاصـمـةـ الـثـقـافـةـ مـنـوـعـةـ فـيـ تـلـكـ الـعـاصـمـةـ.

### إشكالـاتـ أـمـامـ هـرـيـةـ الـكتـابـ:

رـعـاـ يـقـولـ أـحـدـهـمـ،ـ وـهـلـ مـنـ الصـحـيـحـ أـنـ نـتـرـكـ الـحـبـلـ عـلـىـ الـفـارـبـ؟ـ إـنـ مـنـ الـمـهـمـ أـنـ نـخـمـيـ الـبـلـدـ وـثـقـافـتـهـ،ـ وـشـبـابـهـ مـنـ الـأـفـكـارـ الـوـافـدـةـ غـيـرـ الصـحـيـحةـ وـالـتـحـديـاتـ،ـ لـأـنـ عـدـمـ الرـقـابةـ فـيـ تـهـدىـدـ لـلـثـوـابـ الـدـينـيـةـ وـالـقـيـمـ الـأـخـلـاقـيـةـ!

وـالـجـوابـ عـلـىـ ذـلـكـ:

أـوـلـاـ:ـ أـنـ التـوـاـصـلـ يـوـمـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ الـعـالـمـ أـسـهـلـ مـنـ السـهـلـ،ـ وـمـاـ عـادـ يـمـكـنـ أـنـ تـمـنـعـ الـأـفـكـارـ مـنـ خـالـلـ رـقـيبـ وـزـارـةـ الـإـعـلـامـ،ـ مـعـ هـذـاـ الـاـنـتـشـارـ الـهـائـلـ لـلـإـنـتـرـنـتـ.ـ وـالـفـضـائـيـاتـ..ـ فـمـاـذـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـصـنـعـ

وـزـارـاتـ الـإـعـلـامـ؟ـ

---

عام 2000 مدينة الرياض (المملكة العربية السعودية)، عام 2001 مدينة الكويت (دولة الكويت)، عام 2002 مدينة عمان (المملكة الأردنية الهاشمية)، عام 2003 مدينة الرباط (المملكة المغربية)، عام 2004 مدينة صنعاء (الجمهورية اليمنية)، عام 2005 مدينة الخرطوم (جمهورية السودان)، عن موقع: صنعاء 2004. على الإنترنت.

وثانياً: الكتاب لا يوجه بالمنع، والفكر لا يقابل بالمصادرة، وإنما يعالج بالفكر الأفضل، وهذا وحده الكفيل بالقضاء عليه. لقد رأينا القرآن الكريم وهو وحي الله المنزل وكلامه المقدس ينقل أفكار الكفار، وهي (كاللفاظ) جزء من آيات القرآن يترتب عليها ما يترتب على سائر الآيات من الأحكام من عدم جواز هتكها أو مسها بغير وضوء مثلاً، وما شابه.

فالقرآن عندما يقول: **وَقَالُوا وَيَقُولُونَ..** فإن هذه هي أفكار الكفار ولو لم ينقلها القرآن لما عرفناها وما اطلعنا عليها. **«... قَالَ الْكَافِرُونَ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ»** **«وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ...»** **«وَقَالُوا أَخْخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ...»** **«وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِلَكٌ...»** **«وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حِيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِوْنِ...»** **«وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَبِّهِ.**

ثم رد عليها وفندوها وهذا معنى أن الفكر لا يواجه إلا بالفكر.

أحد الناشطين الإسلاميين قال: كتبت في دولة أوروبية في أوائل التسعينيات، وأردت إصدار مجلة إسلامية، ففكرت أن أجعل الأمر قانونياً، وقلت أستصدر إجازة لذلك فذهبت لوزارة الإعلام، فلم أتعثر عليها سألت عن وزارة الإرشاد مثلاً، لا توجد.. فتعجبت كيف أن بلداً لا يوجد فيه جهة تستأنن في إصدار مجلة، لقد تعودت على أن المطوية أو النشرة إذا أردت إصدارها في بلدي أحتاج إلى عشرات المراجعات، والوزارات والإدارات! من الإعلام، إلى التجارة، والمخابرات، ووزارة الداخلية، وهكذا..

ولهذا وجدنا أنه حتى الفكر الإسلامي ينتشر في تلك البلاد أكثر مما ينتشر في البلاد الإسلامية.

إن طريق هذه الأمة إذا أرادت التخلص من التخلف الفكري والثقافي هو أن تنهج حرية التفكير أولاً ثم حرية التعبير عنه ثانياً ثم حرية النشر والتوزيع ثالثاً.

إن عقلية «... ما أرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيُكُمْ إِلَّا سَبِيلُ الرَّشَادِ» هي التي أودت بالمجتمع الإسرائيلي إلى أن صار هذا المستبد **﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبَشَّرَ الْوَرُودَ الْمَوْرُودُ﴾**<sup>(1)</sup>.

---

(1) هود: 98.



# كيف نحصل على جيل قارئ

يتناول هذا الموضوع كيفية خلق جيل قارئ مثقف في الأمة، وقبله سوف يكون لنا وقفة مع هذه الآيات المباركات لكي نتلمس بعض معانيها ونتدبر في ألفاظها وكلماتها ذلك أن القرآن الكريم كتاب هداية وتدبر وتأمل.

وكلما نظر الإنسان فيه وجد معرفة جديدة وعلماً حادثاً وأنه لا يزداد على النشر إلا طراوة وجدةً. والآية المباركة تبدأ بأمر إلهي سيكون هو فاتحة الرسالة الإسلامية وبدء تكوين المجتمع الإسلامي.. وافتتاح ذلك بهذا الأمر له مغزى ومعنى عميق. فالعادة أن يهتم المؤسس بأهم الأشياء وأكثرها إلحاحاً في نظره.. فلو انشغل في أثناء التأسيس بمعالجة أمر كمالي، والتركيز على قضية قليلة الأهمية لعيوب عليه ذلك.

إذا بدأ القرآن الكريم بتوجيهه نبى الإسلام أن أقرأ وهو في بداية تأسيس الدعوة وفي بداية إقامة المجتمع الإسلامي فإما أن تتصور أن قضية القراءة أمر كمالي زائد وهذا يعني الاهتمام بما هو غير مهم وهو خلاف الحكمة أو نعتقد أن هذا الأمر لما كانت البداية به والتأسيس بواسطته فإن له مدخلية مهمة في تأسيس هذا المجتمع وإن شائه وهذا هو الصحيح.

بداية الإسلام وبداية التوجيه الدينى هو أقرأ ورسالة ذلك المجتمع

أيضاً في شيء مفروء معجزته مفروءة ورسالته مفروءة وأهدافه مفروءة.

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ماذا يعني باسم ربك؟

احتفل المفسرون عدة احتمالات:

الأول: اقرأ باسم ربك أي ابدأ قراءتك بلفظ البسمة والأمر كما يقولون ظاهر في الوجوب ولهذا جعل بعض المفسرين والفقهاء هذه الآية من أدلة لزوم الابتداء بالبسمة في القراءة في الصلاة «اقرأ باسم ربك» أي ابدأ قراءتك القرآنية بسم الله الرحمن الرحيم. فيكون هذا المعنى حجة لمن يقول بلزوم البسمة عند قراءة القرآن الكريم<sup>(1)</sup>.

ومن المعلوم أن هناك توجهين في الفقه الإسلامي، توجهان يقول بلزوم أن يبدأ الإنسان بالبسمة في قراءة السورة وإلا عدت قراءته ناقصة في الصلاة وإلى هذا يذهب فقه أهل البيت عليهم السلام على الأقل في خصوص الفاتحة ويدعوه إلى جمع غير من سائر فقهاء المسلمين. بل نقل عن بعضهم أن عدم الاعتناء بالبسمة يعني حذف 114 آية من القرآن الكريم (هي بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة).

ويعد أصحاب هذا الرأي ترك البسمة في الصلاة في قراءة القرآن وإثبات قول أمين في نهاية الفاتحة شيئاً غير مبرر لأن كلمة أمين ما يقال فيها أنها كلمة دعاء والدعاء غير من نوع في الصلاة، هذا أقصى ما يقال فيها لكن هناك احتمال أن تكون كلمة زائدة! وأقل ما يقال في البسمة أنها مستحبة وقد يحتمل أن تكون واجبة فأمر البسمة دائرة بين الوجوب وبين الاستحباط لا أحد يقول أنها حرام. ومقتضى القاعدة أن يؤتى بالبسمة وأن ترك كلمة أمين.

---

(1) الأمثل في تفسير كتاب الله المنسزل 20/319.

الاحتمال الآخر أن (باسم ربك) يعني أقرأ مستعيناً بذات الله باسم الله (وصفاته) مثل ما تقول (إياك نعبد وإياك نستعين) أنت تستعين بالله عندما تقرأ وعندما تعلم وعندما تفهم تستعين بمن لديه العلم المطلق والمعرفة وكل خزائن العلم تستعين بهذه الذات المقدسة.

الاحتمال الثالث (باسم ربك) يعني أن تكون قراءتك لأجل الله، أقرأ تعلم تقف وكل ذلك ليكن لأجل الله مثلما تقول هذا العمل يقام باسم فلان أي لأجل فلان هو الذي يرعاه..

ربك.. من هو؟ القرآن يبدأ بصفتين:

الصفة الأولى: صفة الخالقية «... الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ» (خالق) يعني صانع الشيء من غير أدوات، الخالق مختلف بهذا عن الصانع، فالصانع يستخدم الأدوات والوسائل ويعالج الأمور حتى يحصل على نتيجة ويصنع شيئاً فيقال له صانع، لكنما الخالق يقوم بذلك من غير معالجة وب بدون أدوات فيقال خلق، والله سبحانه وتعالى صانع من غير أداة وهو بذلك خالق (الذي خلق) الله سبحانه وتعالى خلق كل من عدها خلق الكائنات خلق السماوات والأرضين، خلق البحار والحيطان خلق النبات خلق ما يُرى وما لا يُرى.. خلق كل هذا وهو شيء عظيم، لكن في هذا المقام نجد أن القرآن الكريم جاء بخلق الإنسان وأنه من علقة.. في أماكن أخرى ذكر خلق الإنسان وعظمته وأكبره، وقال: «... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، لكن هنا قيده بأنه من العلقة «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ» لماذا؟

عند التأمل في العلقة وهي قطعة الدم الراطب التي تعلق بما تمر عليه.. وهي نتيجة عن ماء مهين افترن ببوسطة تشبهه في المهانة هذه العلقة إذا لاحظها الإنسان هي من الضعف ومن المهانة ومن العجز بلا حدود، وليس فيها بحسب الظاهر أي مقوم من مقومات الإبداع

أو الإعجاز.. من هذا الشيء الذي ليس بشيء خلق الله سبحانه وتعالى هذا الإنسان وأوصله إلى درجة أن يقول له ربه: «... إِنَّكَ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...»). هذه المسافة المائلة من كون هذا الإنسان علقة مهينة لا تساوي شيئاً إلى كائن يحتوي على الكم العظيم المائل من العلم والمعرفة والقدرة الكبيرة على الإبداع وإدارة الأرض وإعمارها وهذا الكم المائل من العواطف ومن المشاعر والقلب المتحرك..

هذه المسافة من علقة إلى درجة النبوة في مثل رسول الله ﷺ هي مسافة عظيمة جداً.

كأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول للإنسان تأمل في هذه الحالة التي كان فيها هذا الإنسان من علقة لا تساوي شيئاً إلى أن أصبح بهذه المزلة.

«اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَ \* عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» سؤال: أما كان من المناسب في بيان القدرة الإلهية أن يقول الذي خلق والذي رزق لا سيما وأن رزق الإنسان في بطن أمه من المعابر، هذا البدن الذي إذا وضعت فيه أقل عضو أو قطعة جديدة يرفضها، لو أضفت إصبعاً في يدك بعملية جراحية، فإن البدن كله يستنفر لطرد هذا الشيء الغريب، ولا بد أن يستخدم الأطباء شتى الوسائل والأساليب لتشريح المانعة التي يديها البدن للعضو الجديد، وإنقاذها بقبول قطعة الإصبع تلك، بينما هذا الجين يتكون في الأحشاء شيئاً فشيئاً ويكلف البدن بمسؤولية إطعامه وتخليصه من الفضلات على مدى تسعه أشهر، ويعطيه المانعة والقوة ويخفيه، هذا من أعظم الخلق والرزق، مع ذلك لم يذكر هنا (الذي رزق) وإنما ذكر «اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمِ»..

ولعل جهة ذلك أن هناك حلقين: حلقاً تكوينياً يصعد بالإنسان من حالة العلقة التي لا تساوي شيئاً إلى أن يكون بهذه الأعضاء والجسوارح المتكاملة العظيمة جمالاً وأداءً وخلقًا آخر معنوياً وفكرياً وعقلياً يعتمد على التعليم بالقلم «أَفْرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ» أي رب هو؟ «الذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنِ» هذا الإنسان كان من الممكن أن يبقى في حدود بدن متكامل الأعضاء الظاهرة وهذا ليس - على أهميته - له نظائر، لكن ارتفاعه في سماء العقل والمعنيات هو الأهم الذي يستحق أن يصفه الله تعالى بـ: «... فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ».

(أَفْرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)... ماذا صنع؟ (علم بالقلم)، وهذه خاصية للإنسان وحده، إذا علم بالقلم يقتضي أن يكون علم القراءة أيضاً. هذا من الملزمه أن يقول (علم بالقلم) أيضاً يعلم القراءة فتنتقل العلوم والأفكار والمعارف بين الناس بهذه الطريقة «أَفْرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنِ».

وصف الله نفسه في هذه الحالة بأنه الأكرم، هناك وصف نفسه بالخالقية «أَفْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ» وهنا بالأكرمية قد يكون لأنه علم بالقلم، وهذه الآيات المباركات تشير لنا إلى أهمية موقع القراءة والتعلم والتفكر في حياة الإنسان المسلم وتدعونا إلى أن نفكر في أن الخطوة الأولى في إزالة التخلف هي أن ننشئ جيلاً مثقفاً قارئاً.

وعندما نقول: جيلاً مثقفاً وقارئاً لا نقصد بذلك خصوص الكتب الدينية فقط، بل نعتقد أن المؤمن ينبغي أن يحمل ثقافة ذات آفاق واسعة مهما أمكنه ذلك، يقرأ في الأدب العالمي والعربي والمحللي يقرأ في السياسة والتاريخ.. ويقرأ في كل ما من شأنه أن يوسع آفاقه الثقافية. نعم الثقافة الدينية في رأس أولويات الإنسان فبعضها قد يكون واجباً علينا مثل تعلم المسائل الابتلائية التي تتوقف عليها صحة

العبادات وسلامة العقائد وبعضها لا يكون كذلك.

إن حديثنا هو في اتجاه أن ننشئ الجيل القارئ المثقف، الجيل النهم لطالعة الكتاب، هذا العمل يمر بثلاث مراحل:

### المرحلة الأولى تبدأ ببيئة البيت:

ومسؤولية الوالدين، فمن الضروري أن يفكّر الوالدان في إشاعة عادة القراءة وثقافة القراءة منذ الصغر.. وهنا تأتي العادات التي يسلكها الأبوان لتصنع للأولاد عادات طيبة، فالوالد الذي يقرأ أمام أولاده كتاباً لمدة من الزمان، والأم التي تصنع كذلك، فإن كلاً منها عندما ينصح أولاده بالطالعة يعطي لنصحه مصداقية، بينما إذا رأى الأولاد أن أباً هم لا يصرف نظره عن جهاز التلفزيون من أول قドومه إلى البيت وإلى أن يغادره للخارج أو إلى اليوم، فإن ذلك يشكل قدوة سيئة فيما يرتبط بموضوع المطالعة والقراءة، ولا يستطيع الوالد هنا أن ينصح أبناءه بترك الإكثار من النظر إلى التلفزيون والانشغال بما هو أكثر فائدة من المطالعة وأمثالها!

إن جزءاً كبيراً من التربية هو محاكاة وتقليد، ولا يحتاج ذلك إلى كثير كلام وترجيحه. وإن كثيراً من وقت الناس يضيع في الانتظار تارة، وفي قطع المسافات أخرى من دون أن يستغل بنحو نافع.

لاحظ أن قسماً من مسافري الحافلات أو القطارات لمسافات طويلة قد لا تقل عن ثمان ساعات مفيدة لا يستفيدون من هذا الوقت، ولو أريد استغلالها في القراءة لعادت عليهم بفوائد كثيرة.

بينما الملاحظ في البلاد الغربية أن المترو وقطارات الأنفاق ومسافرها ليست بذلك بعد من محطة لأخرى، ولكن كثيراً من الراكبين فيها يستفيدون من هذه الفرصة في مطالعة الكتب.

وهكذا الحال عندما ينتظر الإنسان دوره في موقع الانتظار مثل مواعيد الطبيب، والتي قد لا يتفق فيها دقة الوقت والتقدير، فترى الواحد يظل متظراً في حالة متوترة وقلقة، ينظر إلى الذاهب والقادم، ويطرق الباب على الطبيب بين فترة وأخرى.. لو كان قد حمل معه كتاباً وجلس ينظر فيه متظراً دوره لوفر على نفسه ذلك التوتر، وانفع بما مرّ عليه من وقت..

وهذا إنما يحصل من خلال التربية والمحاكاة، فإذا كان الوالدان يقومان بمثل هذا في مثل هذه المواقع أخذ الأولاد نفس الطريقة والتزموا بها وساروا عليها.

عندما نريد أن ننشئ جيلاً قارئاً فلا بد وأن نبدأ من داخل البيت.. أن نأخذ أبناءنا الصغار وبناتنا إلى مكتبة لبيع الكتب ونرغبهم في شراء ما يريدون، وأدعهم يختارون ما يرغبون، وفي الفترة الأولى لا ينبغي أن تتدخل كثيراً في اختيارهم، المطلوب هو أن تستكون بينه وبين الكتاب علاقة وأنس ومحبة.. فإذا تمكنت منه عادة القراءة وصار الكتاب أنيساً له وجليساً له ذاك الوقت يمكن برمجة قراءته وتوجيهها.

## المرحلة الثانية بينة المدرسة:

ويأتي دور المدرسين والمعلمات حيث ينبغي أن يفكرون هؤلاء في تشويق الطالب والطالبة إلى القراءة والمطالعة، فإننا قد نلاحظ تبيطاً في بعض الأحيان، فربما جاء طالب إلى المدرس قائلاً: قرأت القصة الفلاحية! فيجيئه هذا المدرس لماذا تضيع وقتك في هذه الأمور؟ احرص على مذاكرة دروسك وتوجه إليها فعنده ضعف في هذه المادة وتلك.. وقد يكون المدرس منطلاقاً من الحرص على مستقبله

الدراسي، ولكنه يمارس دوره بشكل غير صحيح. إنه عندما يستيقظ إلى القراءة سيقرأ الكتاب الخارجي والقصة كما سيحرص على مطالعة درسه والتوجيه خير وسيلة تربوية.

في كثير من الأماكن يعتبر التربويون مكتبة الكتاب المدرسي من الأساسيات في كل مدرسة، وإذا نظرنا إلى الإحصائيات سوف نجد تشجيعاً لوجود الكتاب الخارجي في المدرسة، سواء في صورة مكتبة عامة، بل وحتى مكاتب للبيع في هذه المدارس. ففي إحصائية تقول إنه من بين (35) ألف مدرسة في بريطانيا يوجد في (10) آلاف مدرسة منها ركن لبيع كتب رخصة الثمن. وإن أكثر الطلاب في هذه المدارس يوفرون جزءاً من مصروفهم لشراء ذلك الكتاب الشخص الثمن منه.

دور المدرسة ودور المعلم مهم في الجهة.

وكذلك بيئه الأحياء والمناطق ففي كثير من المجتمعات يجد البعض أن من شأفهم أن يصنعوا مكتبة كي يطالع فيها أبناؤهم ويعتبرون هذا الأمر من مسؤولياتهم، وفي ديننا الكثير من الحث على نشر العلم الذي وعد عليه الإنسان بالثواب الكبير. غير أن الثقافة السائدة في بعض مجتمعاتنا لا تشجع على هذا ولا تعتبره من القيرات الإلهية، فلو أراد أحدهم أن ينشئ مكتبة بعنوان أنها صدقة حاربة، ربما يتعرض عليه البعض ويقال له أن يتحرك لإنشاء حسينية أو مسجد.. ولكلٍّ فضله، ولكن هذا نشر للعلم أيضاً ونشر المعرفة فيه ثواب كبير.

ينبغي التشجيع على القراءة في مجتمعنا، وأحد أشكالها أن نعمل مسابقات في قراءة الكتاب، بحيث يعين كتاب أو عدة كتب، لكي يقرأها أعمار معينة، ثم تكون هناك جوائز تشجيعية.

عندما يأنس الشاب بالكتاب نصنع بالتدریج جيلاً فارئاً جيلاً مثقفاً ويرتفع بذلك مستوى الأمة. وفي غير هذه الصورة سيكون العقل العربي مهدداً.

لقد قال د. محمد جابر الأنباري كلاماً قيمةً في هذا الشأن: (إن هناك تحديداً خطيراً على عقل الأمة، وهو من أعظم الجنایات على عقل الإنسان العربي وهو أن يستبدل مطالعة الكتاب بطالعة القنوات الفضائية، ولا يقصد هنا القنوات الخلاعية، وإنما دون ذلك وهو ما يسمى بشفافية الإمتاع السطحية)، كالأفلام غير المأهولة، والكوميديا التي يراد منها الضحك للضحكة، ولا نريد هنا أن نمنع بالطلاق الانفتاح على هذه القنوات ففيها قسم نافع من البرامج السياسية أو العلمية أو الثقافية.. لكن أن تحول إلى (برنامج) يحتل النسبة العظمى من وقت هذا الشاب وأن تكون مصدر ثقافته الوحيدة، فهذا يشكل كارثة بالنسبة له ولأمته على السواء.. وذلك أن من أوليات الإعلام الفضائي أن يكون ممتعاً وجذباً، ولا ينسجم هذا دائماً مع عمق المحتوى وقوه المادة.

في مقابل ذلك يؤكد القرآن على القراءة: «اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق الإنسان من علقي \* اقرأ وربك الأكرم \* الذي علّم بالقلم \* علّم الإنسان ما لم يعلم».



# الخرافة والتأمل العقلي

كيف نتعامل مع ظواهر الخرافة في المجتمع؟

ركَّز دين الإسلام تركيزاً عظيماً على الجانب العقلي وأعطاه الدور الأسمى، وجعل أحکامه أحکاماً قاطعة، بل وجَّه الآيات القرآنية وخاطب بها أهل العقل كما في قوله تعالى: «هُدٰىٰ وَذِكْرٍ لِأُولَئِكَ الْأَنْبَابِ»<sup>(1)</sup> وفي قوله تعالى: «... إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»<sup>(2)</sup> في سبعة مواضع و«... إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»<sup>(3)</sup> في ثانية مواضع.

فالذى ينتفع بـهذا التذكير هو ذلك العاقل الذى يتدبَّر في تلك القصص والحوادث ويتفَّعَّج بما في حياته. بينما من يعيش عالم الخرافة، ويفقد في فضاء الوهم لا ينتفع حتى بالهدى القرآني والتعليم الإلهي، ما لم يحرر نفسه من الخرافات.

تظهر في مجتمعاتنا المسلمة بين آونة وأخرى بوادر وحالات خاطئة يؤمن بها قسم من أفراد المجتمع ويستحبون لها وبالتالي تُكرر وتُعاد، ولو تم التعامل معها بتعقل لقضي عليها وانتهت. نشير إلى بعض هذه الأمور - مع أنها غير مقصورة فيها - حيث يبدو أن

---

(1) غافر: 54.

(2) الحجية: 13.

(3) الرعد: 4.

المشكلة أكبر من هذا المنشور المعروف وألها تتشكل في صور كثيرة - لكننا ننقل بعض هذه الصور لكي نلاحظ من خلالها حجم المشكلة، التي انتقلت من دائرة النساء الأميات إلى أصحاب الكفاءات بل إلى القضاء الشرعي:

\* فإن محكمة في رأس الخيمة قد أصدرت حكماً قضائياً بسجن زوجة لمدة 3 شهور لاعترافها بأنها قد سحرت زوجها، وإلى هنا قد يبدو الأمر مقبولاً ومنطقياً، لكن أن تعرف أن من بين الإجراءات التي اتخذتها المحكمة، الاستماع إلى شهادة جندي موجود في جسد زوجها. هذا هو غير المنطقي!

\* وقال رجل سعودي يعالج بالرقية الشرعية إن جنباً حث امرأة كان يقوم بعلاجها على قتله، لكنها أخطأت في إطلاق النار عليه وقتلت زوجها. وكانت جريمة قتل ارتكبها سيدة سعودية (40 عاماً) في داخل عيادة للعلاج بالرقية الشرعية بمنطقة العرجاء بمحافظة الطائف، وسقط ضحيتها زوجها، وقد أثارت ردات فعل كبيرة ودفعت للتساؤل عن دوافع الجريمة.

\* لقد أشارت دراسة قام بها محمد عبد العظيم بمركز البحوث الجنائية في القاهرة أن 250.000 مشعوذ يمارسون أعمال السحر والشعوذة في عموم الدول العربية، وأن العرب ينفقون زهاء 5 مليارات دولار سنوياً على هذه الأعمال، وأن الفقراء في مصر ينفقون 10 مليارات جنيه سنوياً على قراءة الغيب وفك السحر والعلاج من الجان.

كما كشفت - من جهة أخرى - الحملات الأمنية لمتابعة العمالة السائبة في السعودية عن وجود بيوت وأوكار متخصصة في أعمال السحر وما يرتبط بالجان وأن غالبية مرتداتها هم من عامة

الموطنين، كما أشارت دراسة نشرها صحيفة عكاظ اعتمدت على استبيان شمل 500 ربة بيت من تعاملن مع خادمات في منازلهن ورؤيتهن حول تعامل هؤلاء الخادمات مع السحر، فكانت النتيجة أن 56% من ربات البيوت يعتقدن بقدرة الخادمة على ممارسة أعمال سحرية ضارة لهن أو لأفراد الأسرة، بل وأكثر من ذلك فإن 21% من هؤلاء قد أكدن على حدوث تجارب فعلية مع السحر التي مارسته الخادمات، إن هذه الدراسات - وبغض النظر عن دقة مدلولاتها العلمية - قد أشارت إجمالاً إلى ما نرمي إليه وهو عمق القناعة بالسحر والجن وتأثيره على سلوكياتنا وهو ما يستدعي وقفة تأمل للبحث والدراسة، فمحاربة الساحر والمنجم والعراف ليست السبيل إلى اجتناث هذه الممارسات والسلوكيات الخطأة، فذلك لن يتحقق إلا بمزيد من جهود النوعية وتصحيح الفتاواعات، وخاصة لدى البعض منا الذين ذهبوا بعيداً في رسم العلاقة الممكنة مع الجن حتى وضعوا تصوراً دقيقاً لكيفية زواج بني البشر بهم<sup>(1)</sup>.

ونخت عنوان: انتشار ثقافة الجن وسيطرة الخرافات.. على المجتمع المصري كتب مجلة إيجيبتي على الإنترنت:

(274) خرافة.. هي إجمالي الخرافات التي تحكم عدد كبير من المصريين وتسيطر على كل شيء في مصر.. نعم 274 خرافة يستيقظ عليها النائمون.. وينام عليها المستيقظون.. 274 خرافة سيطرت على الجهلاء والمتلقين.. الحكماء والحكومين..

الدراسة الميدانية التي أجرتها فريق بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية والتي شارك فيها الباحثان "نجيب إسكندر

---

(1) مقال في صحيفة اليوم السعودية 27/10/2005.

ورشدي منصور" فجرت العديد من المفاجآت حيث توصلت إلى أن 63% من المصريين يؤمنون بالخرافات بينهم 11% من المثقفين والرياضيين والفنانين والسياسيين.

وهي نفس النتيجة التي خرج بها الباحث محمد عبد العظيم في دراسة علمية له حيث توصل إلى أن 31% من المصريين بينهم من يحتمل المناصب العليا يؤمنون بتنفس الأرواح وأن الاعتقاد بالجحان والعفاريت أصبح من المعتقدات الأساسية في حياة المصريين الذين يعتقدون بسيطرة الجن على تصرفاتهم وهناك أكثر من مليون و200 ألف مواطن في مصر يعتقدون بتصنيف الجن إلى أزرق وأحمر كما يعتقدون أن الحذاء القديم الملقي بالشارع هو الدواء الوحيد الناجح للوقاية من الجن والعفاريت الذين يسكنون المقابر والمنازل المهجورة وأن 75% من المصريين يتحاشون ضرب القطة والكلاب ليلاً لاعتقادهم أن العفاريت تتشكل في أشكال هذه الحيوانات كما يعتقدون أن الجان قادر على الزواج من النساء والعكس بل والإنجاب منهم..

وقالت الدراسة إن 60% من النساء يؤمنن بضرورة وضع كف في شعر الطفل حتى لا يصاب بالحول وأن 47% من المصريين يؤمنون تماماً بأن رش المياه وراء الشخص المتوفى يمنع موته أحد وراءه وأن المقص المفتوح يجعل النكدة.. ووضع المقص تحت رأس النائم يمنع الكابوس وهناك ما هو أطرف وأغرب من ذلك حيث يعتقد 60% من المصريين أن حرق الخنفسة في الشقة غير المسكنة يجعل لها السكان وأن تعليق حذاء طفل على جدران المنزل يجعل السعادة لسكانه..

أيضا دراسة الباحث محمد عبد العظيم أكدت على أن 30 ألف شخص في مصر يدعون علم الغيب وقراءة الفنجان والكف كما

يؤمن 70% من المصريين بقدراتهم الخارقة في معرفة ما يخبئه لهم القدر من أحداث فضلاً عن قدرات أخرى منها علاج المرضي بالأرواح. الباحثة إكرام زايد أيضاً، قالت في دراسة لها حول الخلفية إن 60% من النساء ترين أنه على المرأة التي يتأخر حملها أن تذهب إلى "الدحرجة" لتتدرج سبع مرات لعلها تحقق أملها في الإنجاب فالمرأة التي لا تنجح في الشرقية مثلاً تقوم بزيارة مئتين لرجل وامرأة وتحتضنهما تحت ملاءة ثم تستحم وتكسر زيراً من أجل الإنجاب..

في واحدة سيوة هناك ضرورة لأن تستحم العروس في نبع من الماء ليلة عرسها اعتقاداً من الأهالي بوجود قوة تكسبها الخير والجمال وتبعد عنها الشر كما يؤمن 93% من نساء الريف المصري بما يسمى بالمشاهرة وهو عدم دخول أي رجل حليق الذقن على المرأة بعد ولادتها بـ 40 يوماً وكذلك عدم الدخول بلحم غير مطهي وإلا منع عنها اللبن أو تتأخر في حملها التالي.

وأن 62% من البنات في مصر يؤمنون بضرورة عدم التحديق في المرأة ليلاً حتى لا يفوهن قطار الزواج.. وأن أكثر من 50% منهن ما زلن يعتقدن في صحة قرص ركبة العروس في ليلة دخلتها حتى تصيبهم العدوى ويتزوجن في وقت قريب بعدها ومن تلحس بطن الضفدعه تستطيع الزغفرة. وأن أي بنت تأكل سماكاً ولبناً يوم الأربعاء تجُن فوراً.

وأن 90% من المصريين حسب ما أوردته البحث يؤمنون أشد الإيمان وحتى الآن بخرافة (الربط الجنسي) بين الأزواج. وهو إيمان لا يفرق بين أهل الريف وأهل المدينة وأنه عليهم استخدام - الأحجبة - وبالفعل يستعملها 80% من المصريين في أغراض كثيرة منها، الحماية من المرض، وإبطال تأثير العفاريت واستمالة قلب المحب،

والنجاح في العمل إلخ.. ولا يخشى المصريون من شيء قدر خشيتهم من القطة السوداء حسبما أقر 50% والذين ينظرون إلى القطة السوداء باعتبارها رمزاً للتشاؤم.

أيضاً يؤمن المصريون بأن الحجاب يقي من عين الحسود وأيضاً وضع قليل من الملح في كيس يعلق في رقبة الأطفال وكذلك ناب الذئب أو ناب الضبع أو رأس الهدد.

وطرق الوقاية التي وضعها المصريون للوقاية من الحسد كثيرة. منها البخور "خمسة وخميسة" والعروسة الورقية التي يتم ثقبها بإبرة الخياطة بأسماء من يريدون منع حسدتهم، وذلك بقول من عين فلان وفلان إلى أن تنتهي قائمة الأسماء. ثم يتم حرق هذه العروس الورقية والاحتفاظ بنتائج إحراقها. ورسمه على شكل صليب على جبهة الشخص الحسود. وغيرها من المخرافات التي تشيع في مصر، ولعلها توضح من واقع الدراسات الميدانية التي عرضنا لها، أن المخرافة في مصر لم تعد خرافة أفراد وإنما تقف وراءها أيدي مجهولة تحترف تغريب الوعي ودفن عقل المصريين في ثلاثة التحريف<sup>(1)</sup> ..

بل وصل الأمر في استغفال العقول إلى القول ببيع الجن، فقد ذكروا أن شخصاً في مدينة (...) يبيع الجن بـ 70000 ريال، وأنه يملكه المشتري لكي يقوم الجن بكل ما يريده ذلك المشتري، وأن أرباب المال الحمقى يشترون منه الجن!

\* تفصي ظاهرة توزيع الأوراق التي تحتوي عبارات تحذر من عدم تكثيرها: عندما تذهب لزيارة مسجد أو مشهد من الأماكن المقدسة تجد أحياناً في بطون كتب الأدعية أو القرآن أوراقاً تذكر أن

---

(1) يجيئني على الإنترنت.

فلاناً من الناس مثلاً رأى الإمام الفلاي فقال له كذا، أو أن ذلك الإمام أمر تلك المرأة بأن تقول للنساء أن لا يفعلن كذا... وأن الذي يفعل ذلك يحدث له شيء ما.. وأحياناً توزع تلك الأوراق ويلقى بها في وسط البيوت.

أو أن امرأة رأت في المنام نساءً كأنهن من الجنة! حين إليها وجلسن معها على سجادة تملكتها، وبعد ذلك نرى الازدحام على تلك السجادة للتبرك بها أو بالماء الذي غسلت به! وهكذا نلاحظ تعدد أشكال تلك الشائعات..

كذلك ما نلحظه من ربط الأمور والقضايا الحياتية بالسحر والجح في ربط لا ارتباط فيه! فأنت ترى. فتجد بعضهم يفسرون فشل "فلان" من الناس في دراسته أو في عمله بأنه "معمول له سحر أو عمل"، لا لأنه كسول أو مهمل!

والزوجان اللذان لم يستطيعاً أن يبنوا علاقة طيبة بينهما، يرمون السبب على شيء خارج حيالهم فيقولون قد "عمل لهما عمل"! عوضاً عن التفكير في الحل الحقيقي المبني على وصف المشكلة والاعتراف بها ومن ثم العمل على حلها من خلال نمط جديد من التعامل، والأخلاق، أو - في بعض الحالات - الرجوع إلى متخصصين نفسيين.

وكذلك الفتاة التي لم تتزوج بعد، تتصور أن عدم زواجهها ناشئ من أن أحدهم قد عمل لها "عملاً" لكي لا يأتيها الزوج! بينما مشكلتها قد تكون جزءاً من مشكلة العنوسية المتزايدة في مجتمعنا والتي لها أسبابها الموضوعية.

وبذلك يدخل الإنسان في سلسلة من العقد النفسية باعتقاده أن عنده "مس أو جن".

وبالتالي يسعى لعلاج المشكلة في مسار خاطئ. فليس من الصواب أن يُقال عن كل إنسان أصابته بعض القضايا النفسية أو الحالات أنه "مسوس أو مسحور"!

وما أكثر مظاهر الاستخفاف بالعقل في مجتمعنا، لدرجة أن بعض البرامج التلفزيونية تستقبل الاتصالات وتساؤلات المشاهدين مثل: (اقرأ لي كفي.. أنتم عندكم غيمة فلكية، عواصف فلكية)!! ومؤخراً قنوات فضائية لـ (القراءة) على المسحور أو الملبوس!! وأخيراً قنوات فضائية متخصصة في هذه صناعة الوهم وتكريسه وادعاء علاجه.

هذه الظواهر في الواقع استجابة خاطئة لأمور لا أساس لأكثرها. يقول القرآن الكريم عن قوم فرعون: «فَاسْتَخَفَ قَوْمٌ فَأَطَاعُوهُ إِلَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ». والإسلام لم يأت إلا من أجل إعلاء شأن العقل والقضاء على مثل هذه النماذج الخرافية.

ما هي أسباب انتشار هذه الأفكار الخرافية؟

في البداية لا بد أن نلاحظ أن انتشار الخرافات والأوهام لا يعترف كثيراً بالمستوى العلمي، فلطالما رأينا أشخاصاً على مستوى كبير من التخصص الأكاديمي ومع ذلك يكونون من المنخرطين في مسار الخرافات العقلية!

ولكننا نلاحظ أيضاً أن انتشار تلك الأفكار يكون أكثر في صفوف الفئات ذات المستوى العقلي البسيط، ويزداد بصورة أوضع في صفوف النساء في مجتمعنا المسلم - وإن كانت توجد في غير مجتمعات المسلمين أيضاً لكن حديثنا موجه إلى هذه الفئة - فبحسب المشاهدات والتابعات نحن نجد أن الفئة التي تعاطى معها بنحو أكبر هي فئة النساء، ولعل هذا راجع إلى أن التخلف الذي سيطر على

أجيال أمتنا الإسلامية كان لها آثار سلطة متعددة بالنسبة للجميع لكن أثره بالنسبة للنساء في حجبهن عن العلم والمعرفة، وإعاقة انطلاقهن في عالم الحياة المعاصرة كان أكثر من مثيله في صفوف الرجال، وليس أدل على ذلك من أننا نجد أن التعليم في عامة البلاد المسلمة بدأ في صفوف النساء بعد فترات طويلة - نسبياً - من بدايته في صفوف الرجال. وقيّيات الظروف لإطلاع على الثقافة في صفوف الرجال ينحو أكثر مما هو في صفوف النساء، وكان من الطبيعي - لهذا السبب - أن تكون نسبة الأمية هنا أكثر مما هي عليه هناك. مع أننا لا نربط بين التصديق بالخرافات والأوهام وبين التعلم، إذ قد يوجد من المتعلمين من يؤمن بهذه الخرافات كما أشارت إليه دراسة مذكورة آنفًا.

كذلك فإنه لما كان الجانب العاطفي في جنس النساء يغلب على الجانب العقلي - ليس في كل النساء بالضرورة - ولأنهن أيضاً أسرع إلى حالة الخوف، فهن يتقبلن تلك الأمور باعتبارها صحيحة وحقيقة ولها آثار وعواقب..

لكن بنحو العموم يمكن الإشارة إلى بعض الأسباب:

#### ١. عدم تحكيم العقل:

هذا العقل الذي خلقه الله في الإنسان وجُعل الإنسان به أسمى المخلوقات، ويدونه يكون أدنى من الحيوان، إذ إن قيمة الإنسان في عقله... وذلك لقدرته على الموازنة والتقييم، وقدرته على اكتشاف الحق من الباطل.

عندما تقرأ في تلك الأوراق مثلاً "عندما تقوم بتوزيع هذه السورقة سوف تصبح غنياً"! وتبدأ بالتفكير في ذلك الأمر وتدبر في

القانون الذي وضعه الله سبحانه وتعالى وجعله أساساً للكون وهو اقتران النتائج بالأسباب في قوله تعالى: **«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»**، ستُفطن إلى أن تلك الشائعة لا أساس لها من الصحة.

وما نراه اليوم من الانشغال بما يسمى بـ (فك السحر أو العمل) ما هو إلا عقدة جديدة تصدّى الإنسان عن التفكير في حل المشكلة ضمن الطريق الطبيعي. فهذه القضايا لها مسارها الطبيعية، والمشاكل النفسية تُعدّ كالمشاكل البدنية، فكما أن هناك طبيعاً بدنياً، هناك أيضاً طبيب نفسي، ولا بد أن يذهب الإنسان للعلاج لو أراد الشفاء. وهذا هو الطريق الطبيعي والاعتيادي الذي أمرنا بالذهاب إليه.

أنت إنسان تستطيع أن تسمو بمستواك العقلي إلى درجة أعلى من الملائكة، ما هذا الإسفاف والاستخفاف والانحدار؟ وأي استخفاف بقوتين الله في الرزق والسعى هذا؟!  
لهذا نجد أن معظم الفئات التي تصدق تلك الشائعات هي الفئات ذات التعلق الأقل.

## 2. التقين:

إن جزءاً مهماً من المعلومات التي تؤثر في سلوك الكثرين من الرجال والنساء هي المعلومات التقينية التي تسود في العائلة أو المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان. وهذا نجد أن هناك تفاوتاً في المعلومات بحسب اختلاف المجتمعات والأسر.

ومن الملاحظ أن قسماً كبيراً من الناس لما لم يجدوا أسباباً ظاهرة لكثير من القضايا - كما سيأتي الحديث عنه - فقد افترضوا أسباباً

مجهولة (غائبة كالجن، والأرواح، والسحر،.. إلخ) وأعدهم على هذا التفسير الخاطئ من كان يريد الاستفادة من (علاجهما) كمن يمتهن الشعوذة والسحر أو حتى قراء الرقية، وتكرست هذه الأخطاء وتحولت إلى قواعد في المجتمع فإذا لم تحمل المرأة مثلاً قالوا لها عليك أن تصبغي شيئاً من الرز والزبد والسكر على باب البيت (uderah) كما يسمونها، لكي يأكلها الجن أو يشغلها عن منع المرأة المسكينة عن الحمل!

ثم ورثت هذه (القواعد - والعادات) عبر التلقين للأطفال والنساء، وكرسها (خوف) البعض من هؤلاء من حدوث ما لا ينبغي! وخصوصاً أن ممارستها لا تضر أحداً فيما يرون فتحولت إلى ممارسة اجتماعية في هذه الطبقات.

ولأنها أمر تلقيني، فهي غالباً ما لا تخضع للمستوى العلمي، فقد تجد امرأة جامعية، ومع ذلك هي في زواجهما تعامل بهذه الصورة.. فلا بد لزواجهما أن تقرص ركبة العروس الفعلية وهي تعتقد أن ذلك سيتحقق لها الزواج مع أنه لا ارتباط أصلاً بين الأمرين..

### 3. استفاد الأسباب الظاهرة:

في حياة الإنسان يجد أمامه نتائج معينة ثم يفتش عن أسبابها الظاهرة، فلا يجد لها سبباً ظاهراً.. امرأة تمني الزواج، وهي في سن مناسبة وربما تكون جميلة أيضاً، بل وقد تكون عاملة، ومن أسرة جيدة.. فلماذا تأخر زواجهما؟ لا سبب ظاهر مفهوم عندها!

وزوجان كانوا منسجمين وسعيدين فما الذي تغير وأصبح الزوج لا يحب زوجته، أو الزوجة لا تطيقه؟ مع أنه لا شيء - بحسب الظاهر - قد تغير فيهما؟ لا يوجد عند الزوجين سبب ظاهر.

ومثلهما من تأخر العمل عندها، فلا تجد سبباً ظاهرياً، خصوصاً مع عدم الرجوع إلى الطبيب المختص في هذا المجال، فتفكر أن هناك سبباً غبيباً غير معروف هو الذي أنتج هذه النتيجة.

إن الخطأ يكمن في أن مثل هؤلاء لم يراجعوا المختصين لبحث عن الأسباب والعلاج. ربما لأجل أن لا يشعروا ولا يشعروا الآخرين بأنهم مرضى.. ولا سيما لو ارتبط الأمر بقضية نفسية حيث تقترب عدداً كبيراً بفكرة الجنون، فهم يهربون من هذا إلى ما هو أسهل، وهو التحويل إلى تناول آخرافات والأوهام.

"أن الخوف من وهم المرض النفسي من الأسباب النهاية، حيث إن كثيراً من الناس يمحى لديهم خوفاً من أن يوهمهم هو أو أحد أبناءه بأنه مجنون، وهذا يؤثر على مستقبله من ناحية الرواج والعمل وحياة الاجتماعية، فمن أسهل أنقول إنه تقبيل فلان أو فلانة جن، ومن أصعب أنقول أنه مريض نفسي، فما يخاف قوية خارقة تستطيع أن تفعل ما تريده مما يرى المرض النفسي فهو الجنون"<sup>١٤</sup>.

#### 4. إحالة على المجهول وترك الأسباب القريبة:

يوجـهـ في الإنسان غـرـيزـةـ تـدفعـ عنـ الذـتـ. وـهـذـهـ غـرـيزـةـ ظـهـيرـتـ متـعدـدةـ. لـكـثـيرـ مـنـهـ مـفـيدـ. حيثـ إـنـ هـذـهـ غـرـيزـةـ يـكـشـفـ صـرـقـ بـعـدـهـ عـسـيـ قـيـدـ حـبـةـ. وـهـذـهـ بـعـضـ ظـهـيرـتـ لـنـيـ - بـسـوءـ شـوـحـبـهـ - لـتـقـبـيـ بـنـيـ لـكـرـ مـسـلـوـرـيـةـ لـإـنـسانـ نـفـسـهـ فـيـ مـاـ يـحـصـلـ لـهـ. فـيـنـمـاـ يـوجـهـ نـهـيـ لـإـنـسانـ بـنـيـ لـتـوـجـهـ بـنـيـ نـفـسـهـ فـيـصـحـبـ وـذـكـرـ لـنـكـهـ لـأـوـلـ نـفـسـكـمـ).

في المقابل تساهم التربية الخاطئة في إقناع الشخص بأن ما يحصل عليه من نجاح هو بفعل نفسه ولكن ما يحصل له من إخفاقات ومشاكل وأمراض فليس إلا لأن (الغير) قد فعلوا له ذلك. فيبدأ بإلقاء المسؤولية على الأقربين إليه، ثم المحالفين الظاهريين. فإن لم يجد أحال الأمر على مجهول، فالجبن هو الذي يعكر حياته، والأعداء السريون هم الذين (يعملون) له الأعمال وينهذون له السحر.

إن الذي لا ينجز بشكل جيد فلا يترقى في عمله، يعتقد أن رئيسه ضده في البداية، ثم إذا لم يجد ذلك معقولاً، القى باللامة على (حظه) الذي هو شيء مجهول، بعيداً عن تفكيره في ضعف إنجازه.. هذا يمكن علاجه وأما (الحظ) السيئ في نظره فلا علاج له.. أو يلقيه على أي شيء آخر من (كتابة) الآخرين له، أو سحرهم إياه.. أو غير ذلك.

## 5. مجتمع القمار والحلول السهلة:

يسراً وضع الله سبحانه في الكون سننا وربط النتائج بقدامها العقولية، فربط الرزق بالسمعي «وَأَن لَّيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى» والإنساج بالكسب والعمل (...لَهَا مَا كَسَبَتْ...) وأن الإنسان يسرى في دنياه وأخرته ما عمله «فَمَنْ يَعْمَلُ مُثْقَلٌ ذرَّةٌ خَيْرًا يُرَدُّهُ»، وأمر لعلاج براجعة الضبيب. ولنجاح بتعاضي أسبابه، وأن الأمر ليس بالأمان «لَيْسَ بِأَمَانٍ كُمْ وَلَا أَمَانٍ أَهْلُ الْكِتَابَ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ...».

في مقابل تسرد في بعض المجتمعات فكرة المقادرة، ليس فقط على مستوى المأني، الذي حرم الدين ونفي عنه، وإنما المقادرة في نشرها في حياة، في بعض المجتمعات تزيد المسؤولية على فضل النتائج

بأسهل الطرق في زعمها.. فالنصر تريده بالدعاء لا بالجهاد، والتقدم تريده بالغيب لا بالشهود والسعى، والرزق بالحظ أو الأحزار والأحاجة.. وهكذا.

ومن ذلك أن بعض أفراد هذه المجتمعات تريد النتائج من غير عناء مقدمها، فتخسر أموالها عند عدد من مرتبطة هذه الحالات، الذين يستغلون في هؤلاء (اللامعقول) ويسلبونهم مالهم في مقابل إعطاء الوهم.

6. الخلط بين الإيمان بالغيب وبين التعلق بالوهم والخرافات:  
يأتي بعض هؤلاء - بسذاجة - فيقول: إننا نؤمن بما جاء في القرآن من السحر والجبن والحسد.. إلخ. ولذلك نعتقد بهذه الأمور ونمارسها..

لقد غفل هؤلاء عن أن القرآن عندما تحدث عن أصل تلك القضايا باعتبارها هامشًا محدودًا جدًا في الحياة (يرشدك إليه قلة الحديث عن آياتها، وعدم وجود تكاليف شرعية باتخاذها إلا نادرًا)، لم يتحدث عن أن هذا الموجود عندنا من (تفوّل) هذه الممارسات، وكذب أكثرها، ولم يتعرض إلى الواقع الخارجي، وأنه حاصل أو لا.. لقد تحدث عن الجن باعتبارهم أئمًا كانت محلاً للتکلیف الشرعي وأرسل لهم الرسل لكي يصل لهم الوحي الإلهي بطریقتهم. ولم يتعرض القرآن الكريم إلى أمور التلبس بالجان، أو استشهادهم في قضايا ودعاوي، أو ما شابه.

إننا نؤمن بالغيب وهذه من صفات المؤمنين أئمـ (الذين يؤمنون بالغيب) لكن هل من شروطهم وصفاتهم الإيمان بأن فلاناً ملبوس أو ممسوس بالجن، أو أن فلانة مسحورة؟

## 7. عدم الرجوع إلى أهل الاختصاص:

إن لكل مشكلة جهة اختصاص خبيرة بأسبابها ونتائجها، ينبغي أن يتعود الناس على الرجوع إليها، ففي المسائل الطبية النفسية، هناك متخصصون.. إذ إن العلم كما تقدم في الحالات المختلفة فلا شك أنه قد تقدم بنفس النسبة في معرفة الأمراض النفسية، واستطاع في كثير من الحالات رصد علاجاتها.

وفي المشاكل الاجتماعية، هناك مؤسسات ومستشارون وعلماء في هذا المجال، يدرسون السنوات حتى يصبح الواحد منهم ذا قدرة عالية على المعالجة.. فينبغي لمن يعاني مشكلة ترتبط بهذا الجانب سواء في علاقاته الزوجية أو الاجتماعية المختلفة أن يرجع إلى هؤلاء.

وفي المسائل التي ترتبط بالجانب الديني ينبغي إرجاع الأمر إلى الجهة الدينية المتخصصة<sup>(1)</sup> وإلا فإن عدم ذلك قد يُوقع الإنسان في المذور الشرعي<sup>(2)</sup>. والتفريق بين الأمر الغيبي الثابت - والذي هو جزء من الاعتقاد الديني - وبين الخرافة والأسطورة، يحتاج إلى جهة متخصصة، عارفة بحدود كل منها... وهي الجهة الدينية.

لذا ينبغي أن يُرجع في هذه الأمور إلى الجهات الدينية من المراجع الكرام والعلماء الإعلام. قال تعالى: **«وَإِذَا جَاءَهُمْ أُمُرٌّ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاغُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى**

(1) ممّيّع أننا نلاحظ أن بعض الفئات الدينية هي جزء من المشكلة، ويجدون فيها سوقاً رائجة لعرض بضاعتهم الباطلة فلا بد من التدقّق في هذا الجانب، بحيث يتم الذهاب إلى غير تلك الفئة المنورطة في هذه التجارة الفاسدة.

(2) وهو حرمـة الذهاب إلى الساحر والكافـن، كما روى عن الموصومين: (من ذهب إلى كافـن أو ساحـر فقد كـفر بما أنـزل عـلـى مـحـمـد).

الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعْلَمَةُ الَّذِينَ يَسْتَطِعُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَاكُمْ  
وَرَحْمَتَهُ لَا تَبْغِعُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١)</sup>.

### آثار انتشار الخرافات ونتائجها السلبية:

#### ١. البعد عن حالة الإنتاج والتفكير الفاعلية، وإهمال تطوير الذات والمجتمع:

فما الداعي إلى الإنتاج والفاعلية إذا كان يمكن أن يحصل الإنسان على النتائج المترقبة من خلال الدعاء، والأحاجنة والأحزار، ولماذا يسعى في حل مشاكله بالطرق الاعتيادية، ما دام يمكن ذلك من خلال تلك الطرق الوهمية..

لماذا يسعى للطبيب مع أنه يمكن أن يشفى بماء (مقربي) عليه؟ ولماذا تفك في حل مشاكلها مع زوجها إذا كان المعالج(!) سوف يفك لها العقدة ويزيل (العمل)؟ وما الذي يدعو الرجل إلى معالجة نفسه من أعراض الضعف الجنسي مثلاً ما دام الأمر يرتبط بغيرة؟

#### ٢. تشويه صورة الإيمان بالغيب:

إن هذه الظواهر تعكس صورة سلبية وخطأة عن سائر القضايا الغبية الصحيحة مما تؤدي إلى الخلط بين الخرافة والغيب، وهذا ما يدفع بالإنسان المسلم إلى عدم الإيمان بالغيب بصورته الصحيحة. ولذلك نجد الكثير من الدعوات - من كتاب وباحثين غير متدينين - ضد إيمان بالغيب ويفسرونها بأنه خرافة وأنه سبب في تغييب العقل (وذلك لأنهم لا يفرقون بين الخرافة والغيب الحقيقي).

---

(١) النساء: 83.

عندما تسود في المجتمع مثل هذه الظواهر، فإن القضايا الغبية الثابتة والصحيحة والتي تبعد عنها، تصبح مُشوّهة، ويصبح الإيمان بها في محل الشك.

### 3. سوء استغلال بعض الأفراد للضحايا:

إن من نتائج شيوخ هذه الأمور وتصديقها، أن يجد بعض الخاطئين فيها طريقاً للاستغلال المالي أو الجنسي.. وغير ذلك.

وتتناقل الأخبار في أكثر من بلد ومكان عن أنواع من الاستغلال الجنسي لمن يزعمون أن بإمكانهم القيام بما يُسمى بـ (فك السحر أو تخريب العمل)، ويسأل البعض من الفتيات اللائي يقنن في هذه المصائد، وهذا مما يُعرفنا حِكمة الإسلام الذي منع الاختلاء والخلوة.

لقد تحدثت أكثر من وسيلة إعلامية عن تجربة مرة وقعت فيها نساء، مثلما نقلت صحيفة الرأي العام الكويتية قصة عن شخص يحترف الرقية الشرعية للسيدات فقط، وتحول الجلسات معه إلى "حلقات غزل" مطولة.. في إحدى اتصالاته الهاتفية مع زبونه له قال لها: "أنا ما ألم الحني المتربع في أحشائك، يا مسحورة يا قمر"، وكانت هذه السيدة جأت إليه ليقرأ عليها بعد شعورها بضيق وإعياء وحمول، فاستغل الموقف وبدأ "حلقات" الغزل المصحوبة ببعض التحسيس". ثم نقلت تفاصيل تلك القصة..

وهكذا نشرت قناة العربية في موقعها الإلكتروني حادثة امرأة كانت لا تحب وذهبت هذه المرأة إلى رجل في دولة عربية عرف بهذه الأمور من السحر والشعوذة لكي يعطيها الإنجاب!! ولم تستيقظ إلا بعد مدة عندما أرسل إليها بأن عندي صور لك فاضحة.. باعتبار

أهـا خـدرت عـنـدـمـا ذـهـبـت إـلـيـهـ.. هـل تـرـسـلـيـنـ لـيـ مـبـلـغاـ مـنـ الـمـالـ أـوـ  
أـنـشـرـهـاـ عـلـىـ الإـنـتـرـنـتـ؟ وـظـلـ يـتـزـهـاـ هـكـذـاـ إـلـىـ أـنـ وـصـلـ إـلـىـ مـئـةـ أـلـفـ  
دـرـهـمـ وـبـعـدـهـاـ ذـهـبـتـ إـلـىـ نـفـسـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ وـقـدـمـتـ شـكـوـيـ عـنـدـ  
الـشـرـطـةـ وـاعـتـقـلـوـهـ.

عـلاـجـ مـشاـكـلـ الإـنـجـابـ إـمـاـ أـنـ يـكـونـ لـهـ طـرـيقـ طـبـيـ أـوـ طـرـيقـ  
غـيـرـيـ.. إـنـ كـانـ هـنـاكـ بـحـالـ عـنـ طـرـيقـ الـطـبـ وـإـلـاـ فـلـاـ بـدـ أـنـ يـتـوـجـهـ  
إـلـىـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ وـيـخـلـصـ فـيـ الدـعـاءـ لـهـ لـكـنـ الـبعـضـ  
يـتـمـسـكـ بـالـوـهـمـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـحـيـانـ..

إـذـاـ وـجـدـ عـنـدـ النـاسـ هـذـهـ التـوـجـهـاتـ الـخـرـافـيـةـ تـنـشـأـ وـتـكـاثـرـ طـبـقـةـ  
طـفـيـلـيـةـ تـعـيـشـ عـلـىـ الـابـتـازـ الـمـالـيـ وـفـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ عـلـىـ الـابـتـازـ  
الـجـنـسـيـ<sup>(1)</sup>.

#### 4. تـشـكـلـ طـبـقـةـ مـنـ الـأـفـرـادـ الطـفـيـلـيـنـ فـيـ الـمـجـتمـعـ وـالـذـينـ يـبـيـعـونـ الـوـهـمـ لـلـنـاسـ بـالـأـمـوـالـ !!

فـتـرـىـ السـواـحـدـ مـنـهـمـ يـبـعـيـعـ كـلـمـاتـ قـدـ كـتـبـهـاـ وـلـاـ يـعـرـفـ هـوـ  
مـعـنـاهـاـ، وـلـيـسـ لـهـ مـصـدـرـ... يـبـيـعـهـاـ بـعـدـاتـ الـرـيـالـاتـ أـوـ آـلـافـهاـ، وـهـذـهـ  
عـمـلـيـةـ سـرـقـةـ لـلـأـمـوـالـ، وـبـعـدـ الـوـهـمـ، وـاستـغـفـالـ لـلـنـاسـ.

وـفـيـ الـعـلاـجـ:

نـحـنـ بـحـاجـةـ إـلـىـ أـنـ نـنـظـرـ إـلـىـ هـذـهـ الـأـمـورـ وـالـقـضـاـيـاـ بـنـظـرـةـ إـسـلـامـيـةـ  
مـتـعـقـلـةـ حـتـىـ يـتـمـ الـقـضـاءـ عـلـيـهـاـ. فـالـجـمـعـ إـذـاـ صـارـ وـاعـيـاـ وـذـاـ قـدـرـةـ عـقـلـيةـ

(1) لا تخلو الصحف العربية أسرعياً من الحديث عن القبض على مشعوذين،  
استغلوا ضحاياها جنسياً أو مالياً.. وبالرغم من أن بعض القصص فيها شيء  
من التضخيم الإعلامي، لكن معادلته بـ(ما خفي ولم يكتشف وهو الأعظم)  
يكون الأمر متعدلاً.

وأصبح ذا سياج، ستكون لديه الحصانة ضد هذه الأمور، حتى لو أراد شخص أن يستغل الناس شباباً أو شابات، مالاً أو جنساً أو غير ذلك.

كما ينبغي محاصرة من يحاول القيام بهذه الأعمال سعيّاً وراء حطام دنيوي أو شهوة عاجلة.

والإسلام يعلمنا كيف نحكم العقل، كما في المؤثر: حدث العاقل بما لا يكون فإن صدق فلا عقل له.



## قضايا ثقافية

# في منهج أهل البيت

### ماذا تعني الثقافة؟

لو أردنا أن نبحث عن تعريف تام لكلمة الثقافة، لأعيانا ذلك، فإن تفسيرها من خلال الجذر اللغوي لـ (ثقف) وإن حاوله بعض الكتاب، إلا أنه يحتاج إلى تكلف شديد، لكي يعطي المعنى المتداول اليوم لهذا المصطلح<sup>(١)</sup>.

لكننا سوف نستعين بعض التعريفات التي حاولت أن تحدد المصطلح من خلال استقراء الواقع، مثلما صنع معدو تقرير التنمية

(١) في لسان العرب: لسان العرب - ابن منظور، ج 9، ص 19: ثقف: ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة: حذقة. ورجل ثقف (\* قوله رجل ثقف كضم ح كـما في الصحاح، وضبط في القاموس بالكسر كحر). وثقف وثقف: حاذق فهم، وأتبعوه فقالوا: ثقف لقف. وقال أبو زياد: رجل ثقف لقف رام راو. اللحياني: رجل ثقف لقف وثقف لقف وثقيف لقيف بين الثقافة والثقافة. ابن السكikt: رجل ثقف لقف إذا كان ضابطاً لما يحويه قائمًا به. وبقال: ثقف الشيء وهو سرعة التعلم. ابن دريد: ثقفت الشيء حذقة، وثقفته إذا ظفرت به. قال الله تعالى: «فَإِمَّا تُثْقِفُهُمْ فِي الْحَرْبِ...». وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقاً حقيقاً مثل ضخم، فهو ضخم، ومنه المثقفة. وثقف أيضاً ثقفاً مثل تعب تعباً أي صار حاذقاً فطناً، فهو ثقف وثقف مثل حذر وحدر وندس وندس، ففي حديث المحرجة: وهو غلام لقن ثقف أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه. وفي حديث أم حكيم بنت عبد المطلب: إن حسان فما أكلم، وثقاف فما أعلم.

الإنسانية، حيث عرّفوا الثقافة بأنها: مصطلح يشير إلى كل ما أنتجه البشر من أفكار وتصورات وعادات ونظم سياسية واجتماعية ومداولات اقتصادية، وفعاليات أدبية وتقنية عبر التاريخ وهو يكاد يتماهى مع مصطلح الحضارة.

والتراث الفكري مكون أساسى من مكونات هذه الثقافة، كما أن اللغة هي الحامل الأداتي لها والدين هو المنظومة الاعتقادية التي توجه حياة تلك الثقافة<sup>(1)</sup>.

بينما الثقافة عند المرحوم مالك بن نبي هي: مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه.

فهي أولاًً (محيط) معين يتحرك في حدوده الإنسان فيغذى إلهامه ويكيّف مدى صلاحيته للتأثير عن طريق التبادل. والثقافة (حو) من الألوان والأنغام، والعادات والتقاليد والأشكال والأوزان والحركات التي تطبع على حياة الإنسان، اتجاهًا وأسلوبًا خاصاً يقوى تصوره ويلهم عقريته ويعزّز ذي طاقاته الخلاقة، إنما الرباط العضوي بين الإنسان والإطار الذي يحوطه<sup>(2)</sup>.

وأيًّا كان فحيث لا يترتب أثر مهم على تعريف المصطلح، خصوصاً فيما يرتبط بحال بحثنا، والذي يحاول أن يقرأ بعض العناوين الثقافية القائمة، من خلال توجيهات القرآن وأهل البيت عليهم السلام، فإننا نعرض عن الإسهاب في التعريف، لصالح ما بعده.

---

(1) تقرير التنمية الإنسانية 2003.

(2) مالك بن نبي في: مشكلة الثقافة، ص 74 و102.

## التفاعل بين الثقافة والسلوك:

نط حركة الإنسان في الحياة رهين عوامل متعددة أهمها: ثقافته التي يحملها، عن نفسه وعن الكون والحياة ورسالته فيما.. وهذه الثقافة (أو زاوية النظر) موجودة لدى كل أحد مهما كان مستوى المعرفي والعلمي، وهي التي تحدد طريقة حياته، من الجد والعبث والالتزام ومقابله.

ولعلنا نجد أنه لهذا السبب كان موقع (العقيدة) والأصول في الديانات مقدماً على موقع الشريعة والتفاصيل، وذلك لأنه من خلال العقيدة تستحدد الخارطة العامة لحياة الإنسان في مبدئها ومتهاها، وتبيّن له نسبة علاقاته مع الخالق والخلق.

فليس من المعقول أن يطلب من يعتقد أنه «... أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَّاداً...»<sup>(1)</sup> أن يكون جاداً في حياته وحريصاً على عدم إضاعة الفرصة! وهذا يعرب لنا عن تأثير تفاصيل الحياة، بأصول الاعتقاد.. ولا ندعى الحتمية في ذلك، ولكن القاعدة هي هذه، بل يؤكّد أمير المؤمنين على هذه العلاقة بقوله لكميل: (ما من حركة إلا وأنّت تحتاج فيها إلى معرفة)<sup>(2)</sup>.

ولو أردنا تتبع العلاقة الأكيدة الموجودة بين الاعتقاد (الأصول، والنظرة الكونية) وبين التفاصيل الحياتية، والأحكام الشرعية لخرجنا بكثير من النتائج، وهذا يفسر لنا وجود العدد الكبير من الروايات التي تعلي من شأن المعرفة، وتقدمها على سائر المهمات، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام وقد سُئل عن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله

---

(1) المؤمنون: 115.

(2) مستدرك الوسائل 268/17

فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة.. وهو يشير إلى تقدم المعرفة على الصلاة في الفضيلة.

وفي حديث آخر قال: بعضكم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر حجّاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقة من بعض وبعضكم أكثر صياماً من بعض، وأفضلكم أفضل معرفة<sup>(1)</sup>.

وفسر الإمام الباقي التقطي الحكمة التي من أوتيها فقد أوتى خيراً كثيراً، بأنّها المعرفة، بينما جعل أمير المؤمنين علي التقطي أن حفظ الدين هو من ثرة المعرفة.

لقد رأينا القرآن الكريم في جملة من آياته المباركات يركز على الأخطاء المعرفية والثقافية التي تتصل بنظرية الحياة، وهدفية الخلق، أكثر من تركيزه على تفاصيل الأخطاء الحياتية والسلوكية وإن كانت هذه أيضاً محط توجيهاته..

فهو يوبخ على الاعتقاد بنظرية عدمية عابثة لأنّها تقود إلى العبث التفصيلي في الحياة، والفساد الأخلاقي «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةٌ الدُّنْيَا تَمُوتُ وَتَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظْنُونَ»<sup>(2)</sup>.

وهكذا تلك الرؤية العنصرية التي تنتهي إلى أن يقفل الإنسان على عقله باللغائق في قوله: «... لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَأُنَا بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»<sup>(3)</sup>.

---

(1) ميزان الحكمة 3/1780.

(2) الحجّة: 24.

(3) البقرة: 111.

وإن الاعتداد بالذات والنظر المضخم والمترور لها وعدم معرفة حدودها، والذي تعبّر عنه الروايات بلزوم معرفة النفس وأنه كفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدر نفسه، وما هي نسبة إلى هذا الكون والحياة، هو الذي يقود إلى الأخطاء التفصيلية في الحياة، حين يقول الإنسان بكل صفقة «... مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً...»<sup>(1)</sup>.

أو حين يتبااهي بما حوله الله ناسياً أن ذلك لا يؤثر في معادلة الشّواب والعقاب «وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ»<sup>(2)</sup>.

بل إن الفكرة الخاطئة، لتحكم في كل حياة الإنسان ومصيره، حتى يصبح ذلك المصير لعبة بيد الظالمين والطغاة، بينما (يقتئع) هذا الإنسان بما لديه، الأمر الذي ترفضه التعاليم السماوية «إِنَّ الَّذِينَ ؤَوْفَاهُمُ الْمُلَائِكَةُ ظَالِمٌ إِنَّفِسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنَّا شَمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»<sup>(3)</sup>.

وهكذا تطول القائمة لو أردنا تبع باقي الآيات المباركات.. وإذا كان لديك الوجдан والعيان فما حاجتك للسمع بالأذان؟ فلو نظرت إلى حال مجتمعنا العربي والإسلامي لوجدت أن من العوامل المهمة في تخلفه العامل الثقافي، وجود الأفكار الخاطئة التي تعيق حركته.

---

(1) فصل: 15.

(2) سبا: 35.

(3) النساء: 97.

فإن الفهم الخاطئ لمفهوم التوكل على الله يجعله يتحول إلى عدم الأخذ بالأسباب وإلى الاعتماد على الفوضى، وترك التقدير للقوانين مع أن خلق الله للكون وهو القادر على كل شيء كان معتمداً على التقدير والقانون «وَإِنْ مَنْ شَاءَ إِلَّا عَنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ»<sup>(1)</sup> و«إِنَّ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ»<sup>(2)</sup>.

وهكذا فإن القناعة بما قسم الله، وهو مفهوم من أعظم المفاهيم الأخلاقية، حين يفهم بنحو خاطئ ينتهي إلى قتل الطموح الفردي، والاجتماعي، ويصنع التخلف في الأمة.

وتعریف الدين بدل كونه دعوة للحياة والانطلاق والتقدم (إذا دعاكم لما يحببكم) على أنه أمر عبادي منفصل عن عالم السياسة والتجارة والمجتمع، قد يحوله إلى مخدر يستطيع الظالمون من خلاله أن يسيطروا على الشعوب.

بل ربما تحول بفعل الفهم الخاطئ إلى مصنع للموت والفناء بعدما كان باعثاً للحياة.

مما سبق يتبيّن أهمية التصحيح والمراجعة للفكر الذي يحمله المسلم، وتبيّن الرشد من الغي ولكن:

### لماذا القرآن وأهل البيت؟

لا بد في عالم الأفكار من وجود مرجعية، تقاوِس الأفكار من خالها، ذلك أننا نحاول الحديث عن جملة من القضايا ضمن الدائرة الإسلامية، ولا يكفي - كما نعتقد - ما هو سائد من انطلاق

---

(1) الحجر: 21.

(2) القمر: 49.

الأفكار، بنحو يشكل كل واحد مرجعيته الفكرية من خلال نشاطه الذهني وآرائه الخاصة.

إن ما تقدم بالرغم من أنه يعتبر سباحة عكس التيار الثقافي، الذي يسود الآن في الأمة ويرى فيه قسم من المثقفين والكتاب أنفسهم غير مقيدين بمرجعية معينة، بل ربما حاولوا (لي) عنق تلك المرجعيات لتطاويع أفكارهم وتصوراتهم (فالمعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المهمات على آرائهم، كان كل امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات، وأسباب محكمات)<sup>(١)</sup>. إلا أنه لا بد منه.

إننا نعتقد كما أن الانغلاق والجمود الفكري ضار بالأمة وبأجيالها، فإن الانطلاق من غير مرفا، والسباحة في بحر من غير عودة إلى ساحل، ينتهي إلى الغرق، وفي هذه الأمور فإنه «... لا عاصِيَّ الأَيْوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ...».

وأهل البيت عليهم السلام، هم المرجعية الدينية التي أعلن عنها رسول الله عدلاً للقرآن ورديفاً له، بمقتضى حديث الثقلين المشهور بين المسلمين.

إن هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث لم يعط حقه من التأمل، بالرغم من كثرة ما قيل فيه، فإن كثيراً مما قيل فيه، إنما كان في إطار الجدل المذهبي والانتصار لهذا الطرف على ذاك، أو في إطار استقصاء كلمات المدح والثناء.. بينما يعتقد أن الغاية الكبرى من مثل هذا الحديث هو صنع مرجعية فكرية يُنطلق منها، ويرجع إليها. وهذا

---

(١) أمير المؤمنين علي عليه السلام في نوح البلاغة - خطبة 88.

صريح أحاديث كثيرة كما في قول أمير المؤمنين الكتاب: (انظروا أهل بيت نبيكم، فالزموا سنتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدهوكم في ردئ، فإن لمدوا فالبدوا، وإن نهضوا فالهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فنهلكوا)<sup>(1)</sup>.

وأما بالنسبة للقرآن فهو - إضافة إلى كونه - «... يهدى للتي هي أقوم...»<sup>(2)</sup> سواء في الحياة الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية.. فإنه ميزان يكتشف من خلاله الصواب والخطأ، ومرفاً يعتمد به من الغرق كما قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وما حل»<sup>(3)</sup> مصدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بال Hazel وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تخصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح المدى ومنار الحكمة ودليل على المعرفة..<sup>(4)</sup>.

## نقاط في منهج التعامل مع النصوص

من الواضح أن جيلاً كبيراً من أبناء الأمة الإسلامية اليوم يرجع إلى الكتب المصدريّة التي تحتوي على (السنة القولية أو العملية)، ويستوي في ذلك الشيعة والسنة. بل ربما رأى الكثير من هؤلاء أن الرجوع إلى تلك الكتب أسلم وأفضل من الاطلاع على كتب

(1) نهج البلاغة - خطبة 97.

(2) الإسراء: 9.

(3) ساج ومخبر.

(4) الكافي - الشيخ الكليني، ج 2، ص 599.

المعاصرين، وذلك لحالة القدسية التي تحيط بها تلك الكتب المصدرية، دون هذه الحديثة.. ذلك أنه قد ترسخ في أذهان الكثير من أبناء السنة أن صحيح البخاري - مثلاً - هو أصح كتاب بعد كتاب الله المجيد<sup>(1)</sup>، وربما نسجت حوله بعض الكرامات والآثار مثل أن قوماً كانوا في البحر وحرر بمهم بريح طيبة حتى إذا جاءها بريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان آتى ووضعوا الصحيح على المركب فهذا الموج وسار المركب سيراً ويداً ووصلوا سالمين.. هذا نوع من إضفاء القدسية المبالغ فيها على كتاب هو - وإن جمع مؤلفه أحاديث يعتيرها صحيحة عن النبي ولكن - جهد بشري وعمل إنساني يتعرض للنقص والعجز والخطأ والخطلل، لكن هناك محاولة لإضفاء القدسية إضافية على هذا الكتاب الحديسي! وهكذا الحال بالنسبة إلى كتاب الكافي للكليني الذي هو أحد بل أهم الكتب الأربع التي عليها مدار الاستنباط والاجتهاد عند شيعة أهل البيت عليهم السلام، ونحن نحفظ للرجل مكانه العلمي وللكتاب دوره لكن قد تجد مبالغة في إضفاء القدسية من غير ثبوت شرعي مثلاً: دعوى أن الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) أنه قد رأه وقال الكافي كاف لشيعتنا<sup>(2)</sup>! وما دام الأمر كذلك فلماذا يسعى شباب هذه الأمة إلى مطالعة كتب أخرى، والنظر فيها مع وجود كتب من هذا النوع لها هذه الفضائل؟ ويسري ما تقدم على باقي الكتب التي تتمتع بعزة (القدم) و(التراثية).

(1) وقد ناقش المحققون في هذه الكلمة وانتقدوها.

(2) قال الحدث التورى في حاشية مستدرك الوسائل 3/470: إن الخبر الشائع: من أن كتاب الكليني قد عرض على الإمام المهدى محمد بن الحسن، فقال: هذا كاف لشيعتنا.. لا أصل له ولا أثر له في مؤلفات أصحابنا بل صرح بعدمه الحديث الاسترابادى.

ولا يخفى أن جانباً من سبب ذلك يعود إلى الصحوة الإسلامية المتأخرة، وسعى الكثير من أبناء الأمة إلى أن يأخذوا (العلم) والـ(المعرفة) من مصادرها (الأصلية) وـ(الموثوقة). رافقين وجود وسائل بينهم وبين تلك الكتب!

وبالرغم من وجود فوائد في (عودة الروح) هذه، إلا أنها تحتاج بنحو أكبر إلى (عودة الوعي). فإن هناك عدداً من المشاكل لا بد من ملاحظتها في هذا التوجه.

فمن تلك المشاكل:

### الأصول الروائية مواد خام وليس ثقافة جاهزة:

\* أن هذه الكتب ليست كتب أفكار نهائية، وإنما هي مواد خام لإنتاج الأفكار من خلال عمل فكري متخصص يخضع لمنهج، ينظر إلى أطراف النصوص المختلفة ويجمع بينها بنحو صحيح.. خصوصاً مع عدم فهرسة الكثير منها فهرسة موضوعية، تشمل على كل ما له دخل في نتيجة الفكر.

والفرق كبير بين كتاب الفكرة الجاهزة، وبين الكتب الروائية التي تحتاج إلى جهد في الجمع والتركيب والتقييد وحل مشكلات المعارضة بين نصوصها.

إن دخول القارئ في هذا المخزن من الأحاديث والروايات، يشبه دخوله في مخزن كبير فيه قطع غيار للسيارات، من مختلف الأنواع والأحجام، ويطلب منه تركيب سيارة منها مع عدم وجود خريطة ومنهج يعرفه أماكن تلك القطع، وكيفية تركيبها مع بعضها. إن إعطاء الأولوية لنص دون الآخر، وتقديمه عليه، أو تفسيره بغيره، أو تقييده بسائر النصوص عملية مهمة جداً، وعدم القيام بها

قد يؤدي إلى نتائج مدمرة في عالم الفكر. وها هي فرقة المخواج تاربخياً، وها هم التكفيريون المعاصرون يتكونون في الأساس من خطأ معرفي، ونظر غير سليم إلى بعض النصوص القرآنية. ولعل هذا يفسر لنا قول الرسول: "أَنْهُمْ يَعْرِقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَعْرِقُ السَّهْمُ" ، لقد نظروا إلى نص (لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) وأخطأوا فهمه ولم يستطيعوا أن يميزوا بين الحاكمة الإلهية<sup>(1)</sup> وبين الحكومة البشرية. لقد طلبو الحق - بحسب منطلقاتهم - ولكنهم أخطأوا.

### التفريق بين الدين والمعرفة الدينية:

هناك مشكلة أخرى وهي أن القارئ لهذه المصادر، يفهم منها شيئاً معيناً، ويتصور أن ذلك الشيء هو الدين، فما دام الحديث عن رسول الله، أو عن أمير المؤمنين، وقد قرأه في ذلك المصدر (المعتمد) فإذاً هذا هو الدين الحق.. «... فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ...»<sup>(2)</sup>. وإذا كان هذا هو الحق فإن ما يخالفه هو الباطل، ومن يخالفه هو من أهل الباطل الذين يجب مواجهتهم ومحاربتهم حتى يفيقوا إلى الحق!!

ومن هنا تنشأ أرضية التكفير والعنف.. ولو التفت هذا القارئ للمصادر الأصلية إلى أن هناك فرقاً بين الدين وبين فهمه هو للدين.. وأن الأول مقدس وليس بعده إلا الضلال، بينما الثاني لا قداسة فيه،

(1) قال اللهم: كلمة حق يراد بها باطل. نعم إنه لا حكم إلا لله. ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله: وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن. ويستمتع فيها الكافر. ويبلغ الله فيها الأجل. ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو. وتأمن به السبيل. ويؤخذ به للضعف من القوي حتى يستريح به ويستراح من فاجر. فتح البلاغة - خطبة 40.

(2) يونس: 32.

بل قد يكون عين الباطل والاشبه، إذ إن فهم الناظر هذا قد يصيّب الواقع ويطابق الحق، وقد لا يكون إلا باطلًا وجهلًا مركبًا.. لو اسْتَفْتَ إلى الفرق بين الدين وبين فهمه للدين لارتفاع وأراح. ولتحلّصت الأمة من كثير من مناشئ الصراع والاحتراب فيما بينها. هذا التفريق والتمييز بين الدين وبين معرفة المتدين بدينه، يصنع أُسسًا في العلاقة بين الأفراد والجماعات ويعهد لإعذارهم، بحسب ما وصلت إليه عقولهم وأفكارهم من معرفة الدين وفهمه.. ويوضح لماذا يعتقد كل فريق أنه على صواب وهو الذي يمثل الحق، لأنَّه يقرأ القرآن ويجد أن أفكاره مطابقة له، ويحفظ الحديث ويجد تصدِيقاً لما يؤمن به، ونفس هذا الأمر يعتقد مخالفه في الطرف الآخر! مع أنَّ الحق واحد لا يتعدد.

يُقْسَى أن يقال: ماذا نصنع؟ هل أنَّ كل من يطلع على هذه المصادر لا يستطيع الاستفادة منها لأنَّها (معرفة) دينية وليس (دينًا)؟ ماذا عن فتاوى العلماء؟ وآراء الفقهاء المستنبطة من تلك المصادر إذا لم تكن ديناً فليست واجبة الإتباع والطاعة؟

والجواب على ذلك: أنه لا شك في أهمية الاطلاع على تلك المصادر، ولزوم الاستفادة منها، فما قيل من (السنة) إنما هو هداية وإرشاد للأمة.. وهذا يقتضي أن يتم الاطلاع عليه، والتزود منه.. ولكن الناس في هذا المجال قسمان:

- القسم الأكثر وهو غير المتخصص ولكنه يحمل مستوى ثقافياً يستطيع من خلاله فهم ما ينقل في تلك النصوص، وهذا القسم إن كان (فاطعاً، ومتيقناً) بأنَّ ما وصل إليه من المعنى هو المراد من قبل صاحب النص فلا كلام معه، إذ القطع حجة لا يمكن الردُّ عنها، ولا المنع منها. ولكن هذا حجة بالنسبة لصاحبِه في عمله وحياته

الخاصة دون أن يكون حجة على غيره من لم (يتيقن أو يقطع بذلك المعنى) ولا يصح له أن يلزم غيره بما وصل إليه.

وإذا كان - كما هو الغالب - قد فهم شيئاً ولكن يحتمل وجود معانٍ آخر له، أو يحتمل وجود مقيادات ومتخصصات فيه، وأنه لم يُحط بها حتى الآن، فلا يستطيع والحال هذه أن يقطع بأن هذا هو المراد من صاحب النص، وبالتالي يبقى فهمه للنص أحد الاحتمالات التي قد تصيب وقد تخطئ!

ولا نريد هنا أن نتمسّك بما هو معروف من أن المجتهد إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران<sup>(1)</sup>.. كما يصنعه الكثيرون، فإن الحديث المذكور يتحدث عن الحاكم المجتهد، والحاكم هنا بمعنى القاضي لا بد أن يكون على مستوى متميز من معرفة بالأحكام الدينية (والبعض من المذاهب يشترطون فيه مستوى الاجتهاد والتخصص)، المجتهد هنا - ليس كل من بذل جهداً، وإنما هو في قوة مصطلح (الخبر والتخصص) هذا الشخص إذا بذل جهده واستفرغ كل ما لديه من طاقات فكرية في تخصصه ذاك، وأخطأ معه فإن له أجر الاجتهاد، والسعى.

أما أن يتصور كل من نظر إلى تلك النصوص أنه مجتهد وأنه مثاب ومحجور على تقديره الإصابة والخطأ فهو غير صحيح.

- القسم الثاني: المتخصص الخبر في كل فن وعلم هو مرجع لمن ليس كذلك، وهذا ما تشير إليه سيرة العقلاة قديماً وحديثاً، على

(1) في صحيح البخاري، ج 8، ص 157 عن رسول الله ﷺ يقول: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر". وفي غيره أيضاً كمسند أحمد بن حنبل، وكتاب الأم للشافعى، واستدل به فقهاء الشيعة في مواضع من كتب الاستدلال الفقهية.

أفهم يرجعون في كل قضية إلى المتخصص فيها ويأخذون بقوله.. وقد جاءت الآيات والروايات مؤكدة على هذا المعنى مثل «... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»<sup>(1)</sup>.

ومعرفة هذا الشخص المتخصص (والذي يعبر عنه في الألسنة حالياً بالجتهد) في النصوص الشرعية حجة عليه وعلى غيره، وعند التعارض تقدم هذه المعرفة على معرفة الآخرين، تماماً كما هو الحال في سائر المجالات حيث تقدم خبرة المتخصص فيها على غير المتخصص.

### آثار الانفتاح من غير منهج:

لا نريد هنا أن نوحى إلى القارئ العزيز بأن النصوص الموجودة في المصادر هي حكر على فئة من الناس، وأن عليه أن يستمع إليهم فقط، وأن يفهمها من خلال فهمهم لها. فهذا خطأ قد وقعت فيه بعض الأوساط الدينية المسيحية، وكانت نتائجه سيئة.

وإنما نريد القول أن معالجة النص واستخراج الأفكار منه، كأي فن آخر يحتاج إلى طريقة ومنهج.. وأهمية هذا تكمن في أن قسماً من ما يقرأه من النصوص يتحول إلى (لافتات ثقافية) تصبح حياة الإنسان وتحكم سلوكه. ولهذا كان ضرورياً أن يتم الوصول إلى تلك النصوص من خلال منهج سليم. يبدأ بتعقل الخبر والنص عقل رعاية<sup>(2)</sup>، والتأمل فيه وعدم الاكتفاء بمجرد روايته وقراءته.

---

(1) التحل: 43.

(2) في الخبر عن الإمام علي: (اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية، ولا تعقلوه عقل رواية، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل).

لنضرب بعض الأمثلة من حضور هذه النصوص في أذهان بعض المسلمين:

## أهل العراق أهل غدر ونفاق!

بعض الناس يعتقدون أن أهل العراق هم أهل غدر وشقاق ونفاق لماذا؟ لأنه روى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في زمانه لأهل الكوفة: يا أهل العراق يا أهل الشقاق يا أهل النفاق<sup>(١)</sup> إلى غير ذلك،

(١) موجود في فتح البلاغة - خطبة ٧١ عن الإمام علي عليه السلام هو: يا أهل العراق فإنما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلما أثنت امتصت ومات قيمها وطال تأثيرها وورثها (بعدها) أما والله ما أتيكم اختياراً ولكن جئت إليكم سوقاً ولقد بلغني أنكم تقولون علي يكذب. قاتلتم الله فعلى من أكذب. وفي فتح البلاغة يوجد تفريع من قبله للأصحاب لكن لا بعنوان أهل الغدر والنفاق..

لكن في كلمات الحكماء تم استعمال هذا الكلام كثيراً، فهذا معاوية يقول للوليد بن حابر الطائي وهو من شيعة الإمام علي عليه السلام في حوار بينهما: وإنك لتهدين يا أخا طي بأوبياش العراق أهل النفاق، ومعدن الشقاق! فقال: يا معاوية هم الذين أشرفوك بالرريق وحبسوك في المضيق، وذادوك عن سنن الطريق، حتى لذت منهم بالمصاحف، ودعيت إليهم من صدق ما وكتبت، وأمسن نحرها وكفرت، وعرف من تأولتها ما أنكرت. كما في شرح فتح البلاغة 129/16.

ومثله كلام عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة فقد صعد المنبر وقال: أثنا خبر من العراق، بلد الغدر والشقاق، فسأئلنا وسرنا، أثنا أن مصعباً قتل رحمة الله.. شرح النهج 3/298.

وزاد على ذلك بتعبير المراق، ومساوي الأخلاق، الحاج بن يوسف التقفي، حين خطب خطبه المعروفة فقال: يا أهل العراق، ويأهلاً الشقاق والنفاق والمراق، ومساوي الأخلاق، إن أمير المؤمنين ثلل كنانته، فعجمها عوداً عوداً، فوجدني أمرها عوداً وأسعها كمراً، فرمأكم بي، وبإنه قلدي عليكم سوطاً وسبيناً، فسقط السوط وبقي السيف كما في تاريخ اليعقوبي 2/273.

ومثله والي الوليد على المدينة عثمان بن حيان الذي ما وصل المدينة حتى صعد المنبر ليقول: "أيها الناس إنا وجدناكم أهل غشن لأمير المؤمنين في قدم الدهر وحديثه

ولهذا ما أن تتحدث عن موضوع العراق فإنه يتบادر إلى ذهن الحاضرين والسامعين هذا الأمر ويعلّونه بأن الإمام علياً قال فيهم هذا الكلام، بينما العراق كان محض الحضارة الإسلامية في أهم فترات تاريخها، وفيه المراجع الدينيون العظام للسنة والشيعة وشاهد ذلك قبورهم، فيه الكتاب والمألفون وأرباب المذاهب، أهم فكر المسلمين كان وما يزال في العراق.. كيف تسوق كل هؤلاء بعضا الشفاق والنفاق وسوء الأخلاق؟

هنا عندما يتحول النص في ذهن (القارئ من غير منهج صحيح) إلى لافتة ثقافية وشعار فكري ينتهي إلى مثل هذا الأمر. ولتبين الحال في هذا نقول: إنه بعد فرض صدور الكلام عن الإمام، فإنه قد قاله لجماعة معينين لهم ظروف موضوعية زماناً ومكاناً، وضمن ظروف خاصة ولأسباب محددة. ولا يمكن أن تسري هذه الصفات أو النعوت إلى كل الأجيال والأزمان.

---

وقد ضوى إليكم من يزيدكم خبلاً أهل العراق هم أهل الشفاق والنفاق هم والله عرش النفاق وبفضله التي تغلقت عنه. والله ما جربت عراقياً فقط إلا وجدت أنفسهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول. وأنت تلاحظ عزيزي القارئ أن الذي أصر على هذه الصفات لأهل العراق واستفاد منها سياسياً كان الطرف المخالف للتشيع، فتارة هو الأمويون وولاتهم، وأخرى الزبيديون.. مما يضفي ظللاً من الشك على نسبة هذه الصفات لأهل هذه البلاد.

نعم نسب الشیخ الطوسی في كتابه البيان في تفسیر القرآن، هذا الكلام لأمير المؤمنین مرسلًا فقال: كما قال علي عليه السلام: يا أهل العراق يا أهل الشفاق والنفاق ومساوی الأخلاق كما في البيان 9/138.. ولم أتعذر على هذا النص في موضع آخر عنه التغطية وعلى فرض صدوره فسيأتي تأريخه. ولا يخفى أن كثرة الحديث بهذا الشأن في المصادر التاريخية، قد خلقت نوعاً من القناعة عند الكثيرين، حتى لنجد شاعراً شیعیاً كبيراً كالشیخ محمد علي الأعسم يقول في رثاء الحسين:

ورد الحسين إلى العراق وظنهم ترکوا النفاق إذ العراق كما هي.

ثم لو سألنا أنفسنا: من هم أهل العراق؟ هم أهل الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً، فإن الكوفة قد مصرت وأسست في سنة 17 هجرية وكانت تعرف بكون الجندي، وكانت أشبه بمعسكر انطلاق للجيوش الفاتحة لفارس وتكون هذا البلد من القبائل العربية القحطانية والعدنانية التي ذهبت من الجزيرة العربية بعد أن استوطنت هناك، وشكلت (أسباعها) من كندة وخزاعة وتميم... والإمام خطب فيهم هذه الخطب بعد سنة 35 هجرية فلم يتغير جيل وإنما نفس تلك القبائل بأشخاصها وشخصياتها، فهي في الواقع ليست عراقية إذ لم يكن هناك عراق بالنحو المعهود حالياً، بل هو نفسمهم أهل الحجاز والبحرين واليمن.

ثم إن هؤلاء المخاطبين بخطاب الانتقاد والتقرير خوطبوا بذلك النحو بناء على أسباب معينة، وليس معلوماً بقاء نفس تلك الأسباب والحيثيات.

ها أنت عزيزي القارئ ترى أن هذا النص إذا تم التعامل معه من غير منهج صحيح يتحول إلى لاقبة ثقافية خاطئة. فيكون كل عراقي شخصاً منافقاً أو صاحب شفاق وغدر!

مثال في الحياة الاجتماعية: ما هو مرتكز في أذهان الرجال (وأحياناً حتى النساء) من أن النساء ناقصات العقول والمحظوظ والإيمان<sup>(١)</sup>، يجعل هذا من نقاط القوة التي يستقوى بها الأزواج على زوجاتهم، ويسيئون استغلال هذا الشعار.. فما دمن ناقصات العقول فإذاً يجب أن تعطى راتبها لزوجها (صاحب العقل الكامل!) ليتصرف فيه كما يشاء!

---

(١) لقد تعرضاً بشكل تفصيلي إلى المراد من هذه الكلمات وناقشتاه سندًا ومتناً في مقدمة كتاب (في رحاب الإمام علي) قسم النساء.

عندما ينفتح الإنسان افتاحاً مباشراً من غير منهج على مثل هذا النص يتحول هذا النص إلى لافته ثقافية وشعار فكري وهو شعار خاطئ.. عندما قال الإمام هذا الكلام هنا - على فرض تمامية نسبته له - قال في مكان آخر أشياء أخرى، وأعلى من شأن المرأة، وقبل الإمام قال القرآن، وقال النبي وهذه كلها لا بد أن تُجمع حتى يتبيّن ما هي نظرية الإسلام بالنسبة للمرأة.

في المجال السياسي: ما ينقله البعض عن رسول الله ﷺ أنه قال في وصيته قرب موته: "آخر جوا المشركين من جزيرة العرب" <sup>(١)</sup> هذا الذي صار شعاراً لبعض الجهات السياسية المعاصرة، هل هو من الأحكام الشرعية التي ينطبق عليها (حلال محمد حلال إلى يوم القيمة) أو هو من الأحكام التدبيرية والتنظيمية للمجتمع لأن مقام النبي أكثر من مقام عنده مبلغ عن الأحكام ومقام المدير والمدبر للمجتمع النبي يريد أن يدير هذا المجتمع بقانون معين كما سيأتي الحديث عنه في المستقبل إن شاء الله تعالى.

فقد كان للنبي توجيهات تدبيرية ليس لها - بالضرورة - صفة الديسمومة والاستمرار، وإنما النبي بوضعه لها وأمره بما جعلها محدودة بزمن معين!

مثال في قضية العقائد: إذا جاء أحدهم وقال إن الأئمة يقولون (قولوا فيما ما شئتم) فهل يمكن أن يقول أحد أن الإمام علي عضاته من النبيوم أو حديد؟ هل يصح أن يقول أحد أن الإمام السجاد كان يطير في الهواء من كربلاء إلى المدينة؟ لأنه يشمله قوله فيما ما شئتم؟ لا بد لكل ما يقال من إثبات، و(قولوا فيما ما شئتم) لا بد أن تقييد

---

(١) سيفي الحديث عنه.

بقيود أخرى بحيث لا يكون كذبا ولا افتراء ولا بنحو يكون مخالفًا  
لشأن الإمام، بل إن المتأمل في أصل هذا المروي يرى أنه كان في  
صدد معالجة مشكلة الغلو والارتفاع<sup>(١)</sup>، وفي بعضها قولوا فيما كل  
غير فتحن أهله!

المشكلة هي أنه عندما يحدث افتتاح بلا منهج ولا خريطة  
للوصول تتحول بعض الأحاديث إلى لافتات ثقافية دائمة مع أنها  
ليست كذلك.

---

(١) بدر لأبور - بخلافه شخصي، ج 25، ص 280.

- كشف غمضة: من كتب نيلان لعموري عن محدث جهين قال: إنها  
بسنة حزن أحياناً شيعة ومسنون وفي فتحية عن محدثة زاحفة تم تحديدها  
لحدث ذكر فضائله ودفعت شيعة ابن حضرى بيت مربوطة، فــ شعراً  
يشير إلى الحزن يعني - عيب الله تعالى وفــ عــي حضرى فهو ليس من ابن حضرى  
لقد: يا محدث وبــ حــدــثــا منــ حــمــدــتــهــ نــكــلــاــ فيــ مــرــبــوــطــةــ لــأــقــدــىــهــ، حــضــرــىــ  
لاــ ســدــعــةــ، فــقــســ: عــمــدــ أــنــ رــبــ يــكــلــ بــحــمــدــ وــمــهــ تــعــدــ، يــادــتــ وــيــاــ  
خــدــ، قــبــلــ فــيــ دــلــلــ، وــجــعــلــ مــكــدــقــيــنــ، فــكــلــهــ عــيــدــ مــرــ، وــهــوــ وــقــبــ  
عــيــ حــمــدــ.



# الفهم الحرفي أو العرفي للروايات

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية ولا تعقلوه عقل رواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل)<sup>(1)</sup>.  
كان من نتائج الصحوة الإسلامية عودة الكثير من شباب الأمة إلى المصادر الأصلية للروايات والأحاديث طلباً منهم لما يتصورونه من صافي الفكر والفقه وقد كان لهذا التوجه آثار محمودة إلا أن هناك مشاكل تحدث عن عدم وجود منهج للتعامل مع هذه النصوص ومع فهمها باعتبار أن نصوص الروايات الموجودة في الكتب الحديثية والروائية ليست ثقافة جاهزة وإنما هي أشبه بالمواد الخام وهذه تحتاج إلى منهج وخربيطة ومتخصص، فعدم وجود هذا المنهج يتبع عنه أخطاء فكرية وقد يتبع عنه تزيّد في فهم القضايا الدينية.  
ولذلك فإن علينا أن نحاول استكشاف بعض النقاط المساهمة في تعين فهم النصوص الروائية والحديثية.  
من هذه النقاط أن يتم فهم روايات النبي ﷺ والمعصومين فهماً عرفيًّا بعيدًا عن الحالة الحرافية.

**النبي لم يأت بطريقة خاصة في الخطاب:**  
**لتوضيح هذا الكلام ثم الاستشهاد عليه بعض الشواهد**

---

(1) فتح البلاغة - قصار الحكم، رقم 98.

نقول: إن رسول الله ﷺ وأئمَّة أهْل الْبَيْت عليهم السلام لم يأتوا بطريقة جديدة في الخطاب والتفاهم، وإنما طريقتهم في الخطاب والتفاهم هي الطريقة السائدة عند العرب وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى مراراً «... وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لَيَبَيِّنُ لَهُمْ...»<sup>(1)</sup> والأنبياء ولسامحهم الأعلى والأجلّ، رسول الله ﷺ يقول: "إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقوفهم"<sup>(2)</sup> سواء كان من حيث كمية العلم المعطى إليهم أو طريقة الأداء وأسلوب الإفهام وإلا ما كان ذلك بلاغاً وإبلاغاً.. فلو تكلم النبي باللغة الإنكليزية في وسط العرب ما كان ذلك بلاغاً وما كان النبي في ذلك يليغاً مع أن القرآن الكريم يقول: «إِنَّ فِي هَذَا لِلْأَغْرَى...»<sup>(3)</sup>.

بل لو تكلم باللغة العربية ولكن بصورة معقدة على طريقة الفلاسفة مثلاً لم يكن هذا بلاغاً وإن كان بلغة عربية.

البلاغ ومنه البلاغة يقتضي أن يتكلم المتحدث بجريدة تناسب عقول المستمعين وبلغة يصلون من خلالها إلى المعنى المراد. هذه الطريقة هي التي ينبغي أن يفكِّر فيها الباحث عندما يتناول نصاً من النصوص المروية عن النبي ﷺ. عندما تأخذ نصاً مروياً عن النبي ﷺ أو عن الإمام، تصور النبي أو الإمام في وسط مجموعة من الناس يريد أن يوصل إليهم فكرة ويخبرهم عن قضية، وهذه الكلمات هي الموصل والمؤدي.

إننا نرى أنه أحياناً يتقيّد بعض الباحثين ومنهم علماء ببعض

(1) إبراهيم: 4.

(2) الكافي 8/ 268.

(3) الأنبياء: 106.

الكلمات والحروف ويصررون عليها ويقعون في إشكالات خطيرة تبعدهم عن فهم المعنى المراد من تلك الكلمات، بينما المفروض أن الناظر إلى روایات الموصومين يستحضر في ذهنه أنهم يتحدثون مع عدد من الناس متوسطي الثقافة والمعرفة ويريدون أن يوصلوا لهم فكرة حتى يطبقوها<sup>(1)</sup>.

بل إن المتحدث يريد أحياناً المعنى المباشر للفظ، ويريد المعنى غير المباشر أو يقصد المعنى الحقيقى وأحياناً المجازى.

هناك قضية مشهورة تشير إلى هذا المعنى، أن رجلاً جاء يستعطي رسول الله ﷺ ويطلب منه المال، فبدأ يمدح رسول الله ويثنى عليه ويدرك حاجته بمقدار من التفصيل فقال رسول الله لعلي **الظليل**: يا علي اقطع لسانه! استنكر.. بعض الحاضرين كيف؟ هذا رجل فقير جاء إلى النبي يستعطي مالاً ويحتاج إلى المساعدة فكيف يقطع لسانه؟ فقام الإمام علي بن أبي طالب وأعطاه مقداراً من المال فسكت ذاك وانقطع لسانه<sup>(2)</sup>.

وهذا متداول في لغة العرب فإن من جمال هذه اللغة أنها تستخدم الجاز والكتابية وتلمع إلى المطلوب ولذلك كان الشعر عذباً، بل لذلك كانت البلاغة.. أما إذا لمست ملامسة حرفية مباشرة فإ أنها قد تخلو من الجمال والطلاوة.

لكن يتلى بعض الناظرين في كلمات الموصومين بمشكلة الحالة الحرفية في أحيان كثيرة.

---

(1) أشار الكثير من الباحثين إلى مشكلة دخول الفهم (المدرسي) والمصطلحات الفلسفية في فهم الروایات مما يبتعد بما عن جوها، وقد تعرض لذلك الدكتور الفضلي في كتابه دروس في فقه الإمامية، ج 2.

(2) في بعض المروایات أنه قال لبلال ذلك.

مثلاً يرى أحدهم الحديث: "إما امرأة استعطرت ثم خرجت فمررت على قوم ليجدوا ريحها ف فهي زانية، وكل عين زانية"<sup>(1)</sup> .. يقال هنا إن الزنا يتحقق بأمور معروفة، هو لقاء جنسي معهود بين رجل وامرأة من غير وجه مشروع، المرأة التي تخرج من بيتها متغطرة لم يصدر منها هذا الأمر فليس هذا المعنى مراداً بحرفيته قطعاً؟ إنما لا بد من حمله على معانٍ أخرى وإنما كان هذا الحديث كاذباً.

الابتلاء في الحرافية في فهم النصوص الواردة عن الرسول وعن المقصومين يقع الإنسان في أخطاء فكرية وأخطاء فقهية.

من الأمثلة التي يوردونها في هذا المجال ما نقله محي الدين النووي أحد علماء السنة في كتابه المجموع (وهو كتاب في الفقه المقارن بين مذاهب السنة) نقل عن داود الظاهري الأصفهاني وهو صاحب مذهب قليل الأتباع في هذه الأزمنة وهو (مذهب داود الظاهري). فإنه قد استفاد من روایة عن رسول الله ﷺ أنه: "إذا بال أحدكم في ماء فلا يتوضأ منه" ويعنيها أن هذا الماء يت nonsن ولا يصح الوضوء بماء نجس، يقول: إن داود الظاهري استنتج من هذه الرواية أحكاماً غريبة منها:

1. أنه إذا بال نفس الشخص فلا يجوز له أن يتوضأ منه، وأما لو كان بجانبه شخص آخر يجوز له الوضوء من هذا الماء الذي بال فيه. وعلل ذلك بأن الحديث نص هكذا "إذا بال أحدكم في ماء فلا يتوضأ منه" فهو لا يستطيع أن يتوضأ منه، وأما غيره فلم يذكر الحديث عدم جواز وضوئه منه.

(1) كنز العمال - المتنبي الحندي، ج 16، ص 383.

2. وأنه إذا بال هو نفسه ثم توضأ لا يجوز ولكن لو تغوط هو نفسه في هذا المكان ثم توضأ حاز ذلك له لماذا؟ لأن الحديث لم يذكر التغوط بل ذكر التبول.

3. لو أنه بال في إماء ثم صبه في ذلك الماء ثم توضأ حاز ذلك له وعلل ذلك أنه لم يبل في الماء مباشرة وإنما بال في شيء آخر ثم صبه في الماء. ثم يقول إذا صح هذا المنقول عنه فهو شنيع وفي غاية الفساد<sup>(1)</sup>.

نحن نحتاج أن نتعامل مع النصوص والروايات الواردة عن رسول الله ﷺ وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام بفهم عربى منفتح يفهم المعنى ويدرك معنى الكلام من دون أن يكون أسيراً للألفاظ والحروف بحيث يؤدي به ذلك للأذى مثل هذا الذي وقع فيه بعضهم.

### ملاحظة الجانب الزمني في الروايات:

إن بعض الروايات التي تحدث بها النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام لها جانب مرتبط بالزمان، وتغير الزمان والأحوال مؤثر في تغيرها.. وذلك لأن الأحكام على أقسام؛ فقسم منها لا يتاثر بمرور الزمان ولا يتغير ولا يتبدل وهذا ينطبق عليه "حلال محمد

(1) ونص كلامه كما هو في المجموع، ج 1، ص 118: فرع) نقل أصحابنا عن داود بن علي الظاهري الأصبهاني رحمه الله مذهبًا عجيباً فقالوا: انفرد داود بأن قال: لو بال رجل في ماء راكم لم يجز أن يتوضأ هو منه لقوله يعني: "لا يبول أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه" وهو حديث صحيح سبق بيانه قال: ويجوز لنبيه لأنه ليس بمحض عنده ولو بال في إماء ثم صبه في ماء أو بال في شط نهر ثم جرى البول إلى النهر قال يجوز أن يتوضأ هو منه لأنه ما بال فيه بل في غيره قال ولو تغوط في ماء حار حاز أن يتوضأ منه لأنه تغوط ولم يبل. وهذا مذهب عجيب وفي غاية الفساد فهو أشنع ما نقل عنه إن صح عنه.

حلال إلى يوم القيمة وحرام محمد حرام إلى يوم القيمة<sup>1</sup> الخمر مثلاً حرام في كل زمان، الصلاة واجبة كذلك. وهذا الأمر في العبادات دائمًا وفي غيرها في الجملة موجود.

لكن هناك قسماً آخر من النصوص ناظر إلى فترة زمنية معينة فليس بالضرورة أن يثبت في غيرها، وقد صرخ أئمة أهل البيت عليهم السلام بهذا المعنى في أكثر من حديث، مثلاً:

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: "غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود" ..

فإنـه يعتقدـ أنـ النـيـ قـامـ بـعـدـ مـنـ الأـعـمـالـ فـيـ بـداـيـةـ الإـسـلـامـ،ـ وـكـانـ فـيـهاـ إـظـهـارـ لـقـوـةـ الـمـسـلـمـينـ وـشـدـةـ شـوـكـتـهـمـ،ـ فـإـنـهـ يـنـقـلـونـ عـنـهـ اـسـتـحـبـابـ صـبـغـ اللـحـيـةـ وـشـوارـبـ وـشـعـرـ الرـأـسـ بـيـنـماـ الـمـعـرـوفـ عـنـ الـيـهـودـ أـنـهـمـ كـانـواـ لـاـ يـصـبـغـونـ،ـ عـلـىـ الـأـقـلـ فـيـ تـلـكـ الـفـتـرـةـ الـزـمـنـيـةـ.

كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يريد أن يظهر المسلمين على أنهم شباب وهم قوة في مواجهة أعدائهم، ومن ذلك ما ذكروه في علة المرولة في السعي بين الصفا والمروة، أنه عندما دخل إلى مكة بعد صلح الحديبية وكان القرشيون يراقبون المسلمين الذين جاؤوا بلا سلاح لتأدية نسكهم فلما رأى النبي المشركون ينظرون إلى المسلمين أمرهم أن يهربوا في استعراض لإظهار القوة.

بعدما توفي الرسول سُئل أمير المؤمنين علي عن تغيير الشيب

---

(1) روى الشيخ الكليني في الكافي، ج 1، ص 58 عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبد، عن يونس، عن حريز عن زرارة قال: سألت أبي عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال: حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيمة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيمة.. السنـدـ معـتـرـ.

بالسوداد لقوله ﷺ: "غِرُّوا الشَّيْبَ وَلَا تُشَبِّهُوَا بِالْيَهُودِ" فقال أمير المؤمنين عليه السلام: (كان ذلك والدين قُلْ أَمَا الآن وقد ضرب بجرانه واتسع نطاقه فامرؤ وما اختار) <sup>(١)</sup> أي أن الدين عندما كان حديث النشأة وقليل الأتباع كان ذلك التوجيه النبوى، وأما الآن عندما قوى الدين وضرب بجرانه أي استقر أمره، واتسع نطاقه فالأمر واسع والمرء مخبير فيه.

فيظهر من هذا أن التأكيد على صبغ الشيب، كان بجهة مرتبطة بالزمان، فإذا تغير الزمان وتغيرت بالتالي تلك الجهة لم يعد هذا الأمر يحمل نفس المرتبة من التأكيد.

ولعل عدم الالتفات إلى هذه الجهات يجعل البعض يسأل أو يعترض على الأئمة عليهم السلام في بعض هيئاتهم الشخصية أو ألبستهم، فقد روى مصدق بن صدقة قال: دخل سفيان الثوري على أبي عبد الله عليه السلام فرأى عليه ثياب بيض كأنها غرقى البيض <sup>(٢)</sup>، فقال له: إن هذا اللباس ليس من لباسك! فقال له: اسمع مني وعِ ما أقول لك، فإنه خير لك عاجلاً وآجلاً، إن أنت مت على السنة ولم تمت على بدعة، أخبرك أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه كان في زمان مفتر جدب، فأما إذا أقبلت الدنيا فاحق أهلها بها أبرارها لا فحارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفارها، فما أنكرت يا ثوري؟! فوالله إني لمع ما ترى ما أتى علي - مذ عقلت صباح ولا مساء والله في مالي حق أمرني أن أضعه موضعًا إلا وضعته <sup>(٣)</sup> ...

(١) نهج البلاغة - الكلمات القصار والحكم، رقم 17.

(٢) قشر البيض الداخلي كتابة عن نعومته.

(٣) الكافي 65/5.

ومثال آخر: سُلِّمَ الإمام الصادق العليّ كان جدك على العليّة  
يلبس الخشن من الثياب وأنت تلبس الثياب الجيدة الناعمة!  
والمفروض أن منهجكم واحد.

فقال الإمام العليّ: (كان ذلك في زمان لا يُنكر ولو لبس اليوم  
لشهر به فخير لباس كل زمان لباس أهله)<sup>(١)</sup> ففي ذلك الوقت حيث  
حالة الفقر العام كان من المناسب أن يلبس الإمام العليّ مثل تلك  
الثياب، هذا إضافة إلى موقعه القيادي باعتباره رئيس الدولة كي لا  
يتبع بالفقر فقره يدعوه أن يتلزم بهذا المنهج.

أما في زمان الإمام الصادق العليّ حيث كانت الحالة المادية  
العامة للناس حالة حسنة لو لبس أحدهم اللباس الذي كان  
يلبسه أمير المؤمنين لقيل: هذا مرء يحب أن يشتهر بلباس أهل  
الزهد.

### خير لباس الزمان لباس أهله:

لو أخذنا مثلاً: اللباس القصير التي تتلزم به بعض الفئات المتدينة  
اعتماداً على أنه في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يلبسون هذا اللباس!  
هذا ينطبق عليه أيضاً أنه كان في زمان لا يُنكر عليه، وأما اليوم فلو  
أن أحدهم فعل ذلك لصار شهرة الأسواق! ولهذا فقد أطلق الإمام  
الصادق العليّ قانوناً عاماً يحكم قضية اللباس ويعتبر بمثابة المحدد، وهو  
حاكم على باقي الروايات التي تتحدث عن الألبسة، وهو (خير لباس  
كل زمان لباس أهله) بالطبع لا بد من توفر ما ينبغي في مثله من  
شروط الستر وغير ذلك.

---

(١) الكافي 1/411.

هناك نقطة أخرى ينبغي توضيحها في موضوع اللباس القصير مع وجود التوجيهات التي تقول باستحباب لبس القصير كما جاء في تفسير قوله تعالى: **(وَتَيَابَكُ فَطَهِرْ)**<sup>1</sup> حيث فسرت بالرفع والتشمير، وكذلك ما ورد في كراهة لبس الطويل والإسبال في الثياب، فإن البعض قد فهم منها أن التقصير مطلوب لذاته، وأن الطويل مكرور لذاته، بينما في الروايات هناك تعليل أو توجيه لاستحباب هذا وكراهة ذاك، وهو تقديره بكون الطويل على جهة الخياء والاستكبار وآئذ يكون من منازعة الله في كريائة، ويحمل معنى غير أخلاقي<sup>(2)</sup>.

فعن النبي ﷺ - في آخر خطبة خطبها: "... ومن لبس ثوباً فاختال فيه خسف الله به من شفير جهنم يتخالل فيها ما دامت السماوات والأرض، وإن قارون لبس حلة فاختال فيها فخسف به، فهو

(1) قال السيد الطباطبائي في تفسير الميزان، ج 20، ص 81، قوله تعالى: **(وَتَيَابَكُ فَطَهِرْ)** قيل: كنابة عن إصلاح العمل، ولا يخلو من وجه فإن العمل عنزلة الثياب للنفس بما لها من الاعتقاد فالظاهر عنوان الباطن، وكثيراً ما يكتن في كلامهم عن صلاح العمل بظهوره الثياب. وقيل: كنابة عن تركية النفس وتتربيتها عن الذنوب والمعاصي. وقيل: المراد تقصير الثياب لأنه أبعد من النجاسة ولو طالت واجترت على الأرض لم يؤمن أن تتنحى. وقيل: المراد تطهير الأزواج من الكفر والمعاصي لقوله تعالى: (... هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ...) [البقرة: 187]. وقيل: الكلام على ظاهره والمراد تطهير الثياب من النجاسات للصلة.

(2) فعن النبي ﷺ قال: "إنزرا إلى نصف الساق أو إلى الكعبين وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المحيلة وإن الله لا يحب المحيلة" قال: إن الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، وقال: من جر ثوبه خياء لم ينظر الله إليه يوم القيمة. وعن أبي جعفر **(عليه السلام)** قال: قال رسول الله ﷺ: "إن ربيع الجنة ليوجد من مسيرة ألف عام ولا يجد لها حار إزاره خياء، إنما الكرياء الله رب العالمين" .. من كتاب مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي، ص 109 - 110.

يَتَخَلَّخُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ أَوْصَى رِجَالًا مِّنْ بَنِي تَمِيمٍ قَالَ لَهُ: إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُحِيلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُحِيلَةِ). وَقَالَ كَاشِفُ الْغَطَاءِ فِي جَلَةٍ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْلِّبَاسِ: "وَمِنْهَا لِبَاسُ التَّبْخَرِ وَالْخِيلَاءِ"؛ فَإِنَّمَا كَانَ اخْتِالَ نَازِعُ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَهَنَّمَ، وَخَسْفُ اللَّهِ بِهِ شَفِيرُ جَهَنَّمَ، وَكَانَ قَرِينُ قَارُونَ<sup>1</sup>.

وَإِذَا كَانَ التَّعْلِيلُ هَذَا بِمَثَابَةِ التَّقْيِيدِ، كَمَا فَهَمَهُ الْفَقِيهُونَ، فَإِنَّهُ رِبْعًا كَانَ الثَّوْبُ الْقَصِيرُ الَّذِي يَصْنَعُ الْكَبِيرَيْهِ (مَكْرُوهًا لِهَذِهِ الْجَهَةِ) وَفَعَلًا فَإِنَّ قَسْمًا مِّنْ يَلْبِسُ هَذِهِ الْثِيَابِ الْقَصِيرَةِ يَعْتَقِدُ فِي دَاخِلِ نَفْسِهِ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ حَوْلَهُ حِيثُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ هُوَ - دُونَ سُواهُ - يَسْتَنِدُ بِسَنَةِ الْمَصْطَفِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ. وَهَذِهِ هِيَ غَايَةُ الْكَبِيرَيْهِ، وَغَايَةُ الْخِيلَاءِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ عَلَةً لِنَهْيِ عَنِ الثَّوْبِ الطَّوِيلِ، لَقَدْ هَرَبَتْ مِنَ الثَّوْبِ الطَّوِيلِ فَوَقَعَتْ فِيمَا هُوَ أَسْوَأُ مِنْهُ وَهُوَ ثَوْبُ الْخِيلَاءِ وَالْتَّكْبِيرِ، كَانَ اسْتِحْبَابُ الثَّوْبِ الْقَصِيرِ لِأَنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الْكَبِيرِ، وَأَقْرَبُ إِلَى التَّوَاضُعِ، فَأَصْبَحَ صَانِعًا لِلْكَبِيرِ وَمَانِعًا عَنِ التَّوَاضُعِ فِي حَقِّ هَذِهِ الْلِّبَاسِ. وَانْطَبَقَ عَلَيْهِ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ (وَمِنْ لِبْسِ ثَوْبًا فَاخْتَالَ فِيهِ خَسْفُ اللَّهِ بِهِ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ يَتَخَلَّخُ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ).

مَا يَرْتَبِطُ أَيْضًا بِمَدْخَلِيَّةِ الزَّمَانِ وَأَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ عِنْدَمَا يَتَأْثِيرُ بِذَلِكَ التَّغْيِيرِ الْحَكْمِ، مَدْخَلِيَّتِهِ فِي الْلِّبَاسِ فَإِنَّهُنَّا كَثِيرٌ مِّنَ الرِّوَايَاتِ تَنْهَى عَنْ لِبْسِ السَّوَادِ وَتَقُولُ إِنَّهُ: (لِبَاسُ أَهْلِ النَّارِ، لِبَاسُ فَرْعَوْن)<sup>(2)</sup>

(1) الموسوعة الفقهية الميسرة - الشیخ محمد علی الأنصاري، ج 3، ص 202 - 203.

(2) مثلاً ورد: كَنْتَ عَنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الثَّقِيلَةِ بِالْحِيَرَةِ فَاتَّاهُ رَسُولُ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَلِيفَةِ يَدْعُوهُ فَدَعَاهُ بِمَطْرِ أَحَدٍ وَجَهِيهِ أَسْوَدَ وَالْآخَرُ أَبِيضَ فَلَبِسَهُ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: أَمَا إِنِّي أَلْبَسْتُهُ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لِبَاسُ أَهْلِ النَّارِ. وَسَأَلَ الصَّادِقَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْقَلْنِسُوَةِ السُّودَاءِ؟ فَقَالَ: لَا تَصْلِي فِيهَا فَإِنَّمَا لِبَاسُ أَهْلِ النَّارِ.

فلو افترضنا أن شخصاً في هذا الزمان ليس بدلة سوداء لأنه ذاهب إلى استقبال رسمي أو عباءة سوداء أو ثوباً أسود في مناسبة عزاء.. فهل كراهة ذلك هي من الأحكام الدائمة التي ينطبق عليها (حلال محمد حلال إلى يوم القيمة وحرام إلى يوم القيمة)؟ أو أنها قضية مرتبطة بزمان وظرف معين؟ وحين يتغير ذلك الظرف والعنوان التابع له على أثر تغير الزمان يتغير حكمها؟

يذهب البعض إلى أن هذه التشريعات كانت ناظرة لزمان بني العباس، الذين عرّفوا بأنهم المسودة، وأنّوا برايّا لهم السود ولباسهم الأسود ورفعوا السواد<sup>(1)</sup> شعاراً لهم في بداية تأسيس دولتهم حتى إنّه لما بُويع الإمام الرضا عليه العهد أمر المؤمنون أن يغيّر لباس السواد إلى لباس الخضراء<sup>(2)</sup>. ومع أن كون الأخضر شعار بني هاشم غير ثابت، ولكن المعروف تاريخياً أن لباس بني العباس

(1) ربما يكون ذلك استغلالاً منهم لما ورد من أخبار عن انتصار الرائيات السود القادمة من خراسان وأنهم على الحق!

(2) تاريخ الطبرى ج 7، ص 139: (ذكر) أن عيسى بن محمد بن أبي حاقد بينما هو فيما هو فيه من عرض أصحابه بعد منصرفه من عسكره إلى بغداد إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل يعلمه أن أمير المؤمنين المأمون قد جعل على بن موسى بن جعفر بن محمد ولـى عهده من بعده وذلك أنه نظر في بني العباس وبين علي فلم يجد أحداً هو أفضـل ولا أورع ولا أعلم منه وأنه سـاه الرضا من آل محمد وأمرـه بـطـرح لـبس الثـيـاب السـوـد ولـبس ثـيـاب الخـضـرـاء وذلك يوم الـستـلـاثـاء لـلـيـلـيـن خـلـتـا مـنـ شـهـر رـمـضـان سـنة 201 وـيـأـمـرـهـ أنـ يـأـمـرـهـ مـنـ قـبـلـهـ مـنـ أـصـحـابـهـ وـالـخـنـدـ وـالـقـوـادـ وـبـنـ هـاشـمـ بـالـبـيـعـةـ لـهـ وـأـنـ يـأـخـذـهـ بـلـبسـ الـخـضـرـاءـ فـيـ أـقـيـسـهـمـ وـقـلـانـسـهـمـ وـإـعـلـامـهـمـ وـيـأـخـذـ أـهـلـ بـغـدـادـ جـمـيـعـاـ بـذـلـكـ فـلـمـاـ أـتـىـ عـيـسـىـ الـخـيـرـ دـعـاـ أـهـلـ بـغـدـادـ إـلـىـ ذـلـكـ عـلـىـ أـنـ يـعـجـلـ لـهـ رـزـقـ شـهـرـ وـالـبـاقـيـ إـذـ أـدـرـكـ الـغـلـةـ فـقـالـ بـعـضـهـمـ: نـبـاعـ وـنـلـبـسـ الـخـضـرـاءـ وـقـالـ بـعـضـهـمـ: لـاـ نـبـاعـ وـلـاـ نـلـبـسـ الـخـضـرـاءـ وـلـاـ نـخـرـجـ هـذـاـ الـأـمـرـ مـنـ وـلـدـ الـعـبـاسـ إـنـمـاـ هـذـاـ دـسـيـسـ مـنـ الـفـضـلـ بـنـ سـهـلـ.. إـلـىـ آـنـحـرـ مـاـ ذـكـرـ.

كحركة سياسية وكدولة ونظام هو السواد.

ولهذا يرى البعض أن حديث أهل البيت عليهم السلام عن قضية السواد أنه ناظر إلى معالجة وضع سياسي وإعلان عدم مشروعية بهذا الأسلوب، فيكون لبس السواد من باب التشبه بأعداء الله والطاغيت الظالمين، فهو منهي عنه بهذه الطريقة. ويكون السواد من باب الإشارة لا أن له موضوعية في النهي!

وإلا فإن هناك روایات أخرى تصرح بأنه (بپن قلبك والبس ما شئت)<sup>١</sup>، وبأن بعض الأنئمة قد لبسوا السواد.

بل إن لدينا بعض الروایات التاريخية تقول إن الفاطميات لبسن السواد بعد مقتل الحسين عليهم السلام وكان هذا بحسب القاعدة تحت نظر وسع الإمام علي بن الحسين زين العابدين القطبي، وهذا يعني أنه على الأقل ليس ينكروه وإنما كان الإمام يوجههن إلى ما هو المناسب من الفعل ولكن مع ذلك لم يقم الإمام السجاد بهذا التوجيه.

---

(١) عن داود الرقي قال: كانت الشيعة تسأل أبي عبد الله عن لبس السواد؟ قال: فوجدناه قاعداً عليه جهة سوداء وقلنسوة سوداء، وخف أسود مبطن بسواد، ثم فتق ناحية منه وقال: أما أن قطنه أسود وأنخرج منه قطناً أسود، ثم قال: (بپن قلبك والبس ما شئت). وللتفصيل يراجع كتاب من قضايا النهضة الحسينية القسم الثالث - للمؤلف.

# تعدد مقامات النبي وأثرها

## في فهم النصوص

هذه السطور تتناول لزوم التفريق بين النصوص الصادرة عن النبي ﷺ وعن المقصومين بحسب اختلاف مقاماتهم.

يدرك العلماء أن للنبي ﷺ ثلاثة مقامات:

المقام الأول: هو مقام تبليغ الأحكام عن الله عز وجل.

المقام الثاني هو مقام القضاء.

والمقام الثالث هو مقام الولاية على المجتمع المسلم وإدارة شؤونه.

وباعتبار أن الصحابة كانوا حول رسول الله فقد نقلوا كلماته، وهي ترتبط بالمقامات الثلاثة من دون تفريق بينها، ولهذا حصل أحياناً الالتباس بين هذه الكلمات المنقولة وأ أنها من أي مقام من المقامات.

### 1. مقام النبوة والتبليغ:

وعند النظر إلى المقام الأول نجد أنه المقام الأساس للنبي ﷺ، «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ يَارِبِّهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا»<sup>(1)</sup>، وعلى هذا الأساس كان التوجيه الإلهي

---

(1) الأحزاب: 45 - 46

للناس أن «... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَالْتَّهُوَا...»<sup>(1)</sup> وفي هذا الموضع يكون (حلال محمد حلال إلى يوم القيمة وحرامه حرام إلى يوم القيمة).

وكمثال على هذا المقام ما يرتبط بالعبادات، يصلى النبي أمام الناس بكيفية ثم يقول (صلوا كما رأيتمني أصلني)<sup>(2)</sup>، وبالتالي يأخذ المسلمون هذه الكيفية للصلوة وما فيها من أفعال وأقوال باعتبار أنها أحكام شرعية ثابتة لا تختلف ولا تتغير، إذا أراد أحد أن يأتي بصلوة كاملة الأجزاء والشرائط فلا بد أن ينظر إلى طريقة صلاة رسول الله ﷺ الذي قال صلوا كما رأيتمني أصلني.

وهكذا في الحج فإنـه ﷺ دعا الناس كما حصل في حجة السوداء وأرسل رسلاً إلى أطراف المدينة والبادىء أنـي ﷺ سيعجـ في هذا العام فمن أردـ أنـ يحجـ بحجـ النبي فليأتـ، فلما أتـ الناس معـه قالـ: "خذـوا عنـي منـاسـكـكم"<sup>(3)</sup>، يعـرـفـهم أـجزـاءـ الحـجـ وكـيفـيـةـ الأـفـعـالـ.

---

(1) الحشر: 7.

(2) صحيح البخاري - كتاب الأذان، وغيره من مصادر جمهور المسلمين، وبالرغم من أنه لم يرد مسندًا في المصادر الحديثية الشيعية، إلا أنه ورد فيها مرسلًا عن النبي، واستدل به فقهاؤهم بدعـا منـ الشـرـيفـ المـرـتضـىـ وـالـشـيـخـ الطـوـسيـ، وـمـنـ تـأـخـرـ عـنـهـمـ.. وـكـانـ شـهـرـهـ أـغـنـتـ عـنـ الـكـلـامـ فـيـ سـنـدـهـ.

(3) قال العجلوني في كشف المخفاء، ج 1، ص 380 (خذـوا عنـي منـاسـكـكم) رواه مسلم وأبي داود والنسائي عن جابر بلفظ رأـتـ رسول الله ﷺ يرمـيـ على راحـلـتـهـ يـوـمـ النـحـرـ، ويـقـولـ: "لـتـاخـذـوا مـنـاسـكـكمـ فـإـنـ لـأـدـرـيـ لـعـلـيـ لـأـحـجـ بـعـدـ حـجـتـ هـذـهـ".

وهـذاـ الـحـدـيـثـ غـيـرـ مـوـجـودـ مـنـ طـرـقـ أـصـحـابـناـ كـمـ قـالـ الـمـحـدـثـ الـبـحـارـيـ فـيـ الـحدـائقـ.. وـلـكـنـ يـكـثـرـ الـاسـتـدـلـالـ بـهـ وـالـاسـتـشـهـادـ فـيـ كـتـبـ الـفـقـهـ.

هنا يأتِي الكلام عن أن حلال محمد حلال إلى يوم القيمة، فالتشريعات العبادية التي بلغها رسول الله ﷺ عن ربه، لا تغير ولا تتبدل، لا يؤثر فيها الزمان ولا المكان، لا ترتبط بوجود الدولة الإسلامية وعدمها.

## 2. مقام القضاء بين الناس:

هناك مقام آخر للنبي ﷺ وهو مقام القضاء بين الناس، فنحن نعلم أن رسول الله ﷺ عندما أنشأ ذلك المجتمع سنَّ فيه قضاء ليأخذ كل ذي حق حقه، ولقطع المنازعات، وفصل الخصومات.

وهناك عدد من القضايا التي أثرت عن رسول الله ﷺ في قضائه، بعضها ضمن الإطار الأول (حلال محمد حلال إلى يوم القيمة)، كما في «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أُولَادِكُمْ لِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَتَيْبَيْنِ»، فإذا جاء أحد لرسول الله في قضية ميراث قضى بينهم على هذا الأساس، وهناك قسم آخر من القضايا ترتبط بالزمان والمكان وأحياناً حتى بالأشخاص المتقاضين. في هذا المقام يكون النبي في صدد حل مشكلة بين اثنين، يدرك أن هناك طرفاً معتدياً وطرفاً معتمداً عليه ويحاول أن ينهي هذه المشكلة..

مثلما نقل من قول النبي لشاب جاء ينazuء أباه في مقدار من المال بأن يسترجعه، والده، فقال له النبي: «أنت ومالك لأبيك»<sup>(1)</sup>.

(1) نقلها الكلباني في الكافي، ج 5/135، عن الإمام الباقر عليه السلام مختصرة، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لرجل: «أنت ومالك لأبيك»، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: وما أحب له أن يأخذ من مال ابنه إلا ما احتاج إليه مما لا بد منه، إن الله عز وجل لا يحب الفساد. بينما نقل الحادثة العجلوني في كشف الحفاء، ج 1، 208، بنحو أكثر تفصيلاً.. كالتالي:

مثل هذه الحادثة يمر عليها العلماء فيقولون أنها قضية في واقعة، وهي مسألة أخلاقية، وليس حكماً إلهياً دائماً، ولا قاعدة قانونية مستمرة، وهذا لا يلتزمون بمؤداتها فقهاً وقانوناً. فلو استدان الوالد من ولده يجب عليه أن يؤدي دينه..

لكن النبي في ذلك الظرف كان يريد أن ينهي هذا الشجار والتعدي من قبل الولد على حرمة أبيه، فيأتي له بقانون أخلاقي، يقول له كيف تطالب والدك مثلاً بعشرة دنانير ومتى حرمته

- "أنت ومالك لأبيك" رواه ابن ماجه عن جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي مالاً وولداً وإن أبي يريد أن يجتاز مالي فذكره، ورواه عنه الطبراني في الأوسط والصغرى بسند فيه المكذب ضعفوه عن جابر، قال جاء رجل إلى النبي (صلى) فقال: يا رسول الله إن أبي أخذ مالى! فقال النبي (صلى): اذهب فأنت بأبيك! فنزل حربيل على النبي (صلى) فقال: إن الله عز وجل بقرئتك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه! فلما جاء الشيخ قال له النبي (صلى): ما بال ابنك يشكوك تريد أن تأخذ ماله؟ قال: سله يا رسول الله هل أتفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي؟ فقال النبي (صلى): إيه دعنا من هذا أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك! فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي فقال: قل وأنا أسمع فقال: قلت:

غدوتك مولوداً ومتتك يافعاً

تعل بما أحني عليك وتنهل

لسقمك إلا ساهراً أتملّم

إذا ليلة صاقتكم بالسقم لم أبت

طرقت به دوني فعيني تمل

كأني أنا المطروح دونك بالذى

إليها مدى ما كت فيك أؤمل

فلما بلغت السن والغاية التي

كأنك أنت المنعم المفضل

جعلت جزائي غلظة وفظاظة

فعلت كما الجار المجاور يفعل

فليستك إذا لم ترع حق أبيتي

علي عمال دون مالك تدخل

فأوليستي حق الجوار فلم تكن

قال: فحيثند أخذ النبي (صلى) بتلاييف ابنه وقال أنت ومالك لأبيك!

وتصر عليه وتنقل به محكمة إلى أخرى والحال أن وجودك وأصلك وفرعك كله من بركات والدك، هنا النبي ﷺ كان في صدد حل هذه المشكلة وهذه القضية الخارجية، لا أنه يقرر معنى جديداً أو أن يجعل قانوناً استثنائياً في التملك بحيث تكون أملاك الولد ملكاً لأبيه!

نعم يجب على الولد الغني الإنفاق على الوالد الفقير والأم الفقيرة، وكذلك العكس يجب على الوالد الغني الإنفاق على الولد الفقير. لكن كلاماً منها حر في أملاكه وسلط عليها.

### 3. موقع الولاية وإدارة المجتمع:

فـ «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...»<sup>(1)</sup> وهذا المعنى قد حدد القرآن الأولياء بعد الله سبحانه والنبي، فقال: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَنْهَا الرَّكَأَةَ وَهُمْ رَاكِفُونَ»<sup>(2)</sup> هذا موقع ولاية، وإدارة مجتمع، جعلها الله لنبيه وللمعصوم من بعده.

الاختلاط الذي يحصل أحياناً بين الروايات.. أن هذه الرواية من أي نوع؟ هل هي في مقام الولاية وإدارة المجتمع أو هي من مقام القضاء فهي قضايا في الغالب لها جانب زمني وظيفي محدود، أو هي من مقام الأحكام الإلهية الكلية والدائمة التي يبلغها النبي عن ربها.

ولتوسيع الفرق نورد بعض الأمثلة:

---

(1) الأحزاب: 6.

(2) المائدة: 55.

## التهديد بإحراء من تأخر عن الجمعة:

يفي المذهب الحنبلـي بوجوب صلاة الجمعة في الأوقات الخامسة<sup>(١)</sup>، ويعتمدون على جملة من الأدلة من بينها ما يروى عن رسول الله ﷺ، أنه قال: "والذـي نفـسي بيـده لـقد هـمت أـن آـمـر بـخطـبـ ثم آـمـر بـالـصـلـاـة فـيـؤـذـنـ لـهـاـ ثـمـ آـمـر رـجـلـاـ فـيـوـمـ النـاسـ ثـمـ أـخـالـفـ إـلـى رـجـالـ لـا يـشـهـدـونـ الصـلـاـة فـأـحـرـقـ عـلـيـهـمـ بـيـوـقـمـ" وأنه لو لم تكن واجبة لما هدد بهذا التهديد، إذ المستحب لا عقوبة على تركـهـ!

وهـنـا يـأـتـيـ الفـرـقـ بـيـنـ أـنـ نـظـرـ إـلـىـ هـذـهـ الرـوـاـيـةـ عـلـىـ أـنـهـاـ كـاـشـفـةـ عـنـ حـكـمـ إـلـهـيـ كـلـيـ وـدـائـمـ، أـوـ أـنـهـاـ نـوـعـ مـنـ أـنـوـاعـ التـدـبـيرـ الـاحـتـمـاعـيـ وـالـولـائـيـ الـذـيـ كـانـ يـمـارـسـهـ النـبـيـ فـيـ مـجـمـعـ الـمـدـيـنـةـ؟ـ وـبـالـتـالـيـ فـهـوـ نـاظـرـ إـلـىـ حـالـةـ خـاصـةـ تـحـتـاجـ إـلـىـ عـلـاجـ مـنـ هـذـاـ نـوـعـ؟ـ حـيـنـمـاـ نـأـيـ إـلـىـ رـوـاـيـاتـ أـهـلـ الـبـيـتـ نـرـىـ أـنـ هـذـهـ الرـوـاـيـةـ أـيـضـاـ مـوـجـودـةـ،ـ وـلـكـنـ بـالـنـظـرـ إـلـىـ رـوـاـيـاتـ أـخـرـ يـتـبـيـنـ أـنـ هـذـهـ الرـوـاـيـةـ لـيـسـ

(١) قال عبد الله بن قدامـهـ فـيـ كـتـابـهـ المـغـنـيـ، جـ ٢ـ، صـ ٣ـ - ٢ـ:ـ الجـمـاعـةـ وـاجـةـ لـلـصـلـوـاتـ الـخـمـسـ روـيـ نـحـوـ ذـلـكـ عـنـ اـبـنـ مـسـعـودـ وـأـبـيـ مـوسـىـ وـبـهـ قـالـ عـطـاءـ وـالـأـوزـاعـيـ وـأـبـوـ ثـورـ وـلـمـ يـوـجـبـهـ مـالـكـ وـالـثـورـيـ وـأـبـوـ حـنـيفـةـ وـالـشـافـعـيـ لـقـولـ النـبـيـ (صـلـىـ):ـ "ـتـنـضـلـ صـلـاـةـ الـجـمـاعـةـ عـلـىـ صـلـاـةـ الـفـدـ بـخـمـسـ وـعـشـرـينـ درـجـةـ"ـ مـسـتقـلـ عـلـيـهـ وـلـأـنـ النـبـيـ (صـلـىـ) لـمـ يـنـكـرـ عـلـىـ الـلـذـينـ قـالـاـ صـلـيـنـاـ فـيـ رـحـالـنـاـ وـلـوـ كـانـتـ وـاجـةـ لـأـنـكـرـ عـلـيـهـمـ وـلـأـنـهـ لـوـ كـانـتـ وـاجـةـ فـيـ الصـلـاـةـ لـكـانـتـ شـرـطاـ لـهـ كـالـجـمـعـةـ وـلـاـ قـولـ اللـهـ تـعـالـىـ:ـ (ـوـإـذـاـ كـنـتـ فـيـهـمـ فـاقـمـتـ لـهـمـ الصـلـاـةـ...ـ)ـ الـآـيـةـ.ـ وـلـوـ لـمـ تـكـنـ وـاجـةـ لـرـجـعـصـ فـيـهـ حـالـةـ الـخـرـفـ وـلـمـ يـمـزـرـ الـإـحـلـالـ بـوـاجـبـاتـ الصـلـاـةـ مـنـ أـحـلـهـاـ وـرـوـيـ أـبـوـ هـرـيـرـةـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ) قـالـ:ـ "ـوـالـذـيـ نـفـسـيـ بـيـدـهـ لـقـدـ هـمـتـ أـنـ آـمـرـ بـخـطـبـ ثـمـ آـمـرـ بـالـصـلـاـةـ فـيـؤـذـنـ لـهـاـ ثـمـ آـمـرـ رـجـلـاـ فـيـوـمـ النـاسـ ثـمـ أـخـالـفـ إـلـىـ رـجـالـ لـاـ يـشـهـدـونـ الصـلـاـةـ فـأـحـرـقـ عـلـيـهـمـ بـيـوـقـمـ"ـ اـنـتـهـىـ..ـ وـبـرـىـ فـقـهـاءـ الشـيـعـةـ أـنـ الـجـمـاعـةـ مـسـتـحـبـةـ.

من الأحكام الإلهية وإنما تنتمي إلى التدبير الاجتماعي والولائي وبعبارة أخرى هذا ليس من القسم الأول وإنما من القسم الثالث.

ومضمون تلك الروايات أن النبي ﷺ كان يلاحظ وجود عدد من المخالفين يتعمدون في وقت الصلاة أن يجتمعوا في بيوقم ولا يخرجوا مع الناس ويتبعوا (غير سبيل المؤمنين) مع كون أماكنهم قرية من مسجد الرسول ﷺ، وكان هذا أشبه بمحاولة إضعاف الوجود الإسلامي، وتوهين الموقع القيادي للنبي، ويشم منه رائحة تأمر سائياً يُدبر للمجتمع المسلم في المدينة المنورة، لذلك واجه النبي هذا الأمر بعنف شديد، لأن قضية هذه المجموعة ليست قضية ترك صلاة الجماعة من حيث عدم الرغبة في ثواها، وإنما كان وراء الأكمة ما وراءها، ولذلك ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام<sup>(١)</sup>: (كان رسول الله يسأل عن بعضهم بأسمائهم)، وأفهم هل هم في المدينة أو خارجها، يأتي للمسجد ويسأل هل فلان موجود في المدينة أم لا، إذا أحبيب بنعيم يسأل النبي لماذا لم يأت؟ يوجد هناك رصد لفئة معينة كانت تتعمد عدم المشاركة مع المسلمين، وربما خططت لأشياء ضارة بالمجتمع الإسلامي، هذه المجموعة وجه إليها النبي تحذيراً وقديداً أن الانقلاب على الوضع الإسلامي من خلال إضعافه بتلك الطريقة، سيواجه بحزم، أن يجمع عليهم حطباً ونحرق بأيديهم. ويصفهم فيما بعد

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) - المر العامل، ج ٨، ص ٢٩٤؛ محمد بن الحسن بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن النضر، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول صلى الله عليه وسلم (صلى): الفجر (١) فأقبل بوجهه على أصحابه فسأل عن أئمـا يسمـيهـمـ بأسمـائـهـمـ. فقالـ: هل حضـرواـ الصـلاـةـ؟ فـقالـواـ: لاـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ فـقاـلـ: أـغـيـبـ هـمـ؟ فـقاـلـواـ: لاـ، فـقاـلـ: أـمـاـ لـيـسـ مـنـ صـلاـةـ أـشـدـ عـلـىـ الـمـخـالـفـينـ مـنـ هـذـهـ الصـلاـةـ وـالـعـشـاءـ، وـلـوـ عـلـمـواـ أـيـ فـضـلـ فـيـهـاـ لـأـنـوـهـمـاـ وـلـوـ حـبـواـ.. السـنـدـ مـعـتـرـ.

بأنهم المنافقون وأنه ليس أشد عليهم من حضور صلاة الجمعة عشاء وفجراً

ونفس الأمر تكرر مع الإمام علي القططلة فكان له نفس الموقف<sup>(١)</sup>، مما يعني أن القضية لم تكن في حدود شهود الصلاة لتحصيل الثواب، والامتناع عن ذلك زهداً في الثواب وإنما إضافة إلى ذلك كان هناك قضية أكبر.

ثم لا يساكتوننا، يعني لا يقروا معنا في المدينة ولا يشاربونا ولا يؤكلوننا، نلاحظ أن مثل هذه الرواية يجعل التهديد ينتمي للقسم الثالث وهو قسم إدارة المجتمع.

الإشكال الذي حصل هو أن بعض الفقهاء تصوروا أن هذا حكم إلهي كلي و دائم، وأنه لو تأخر شخص اليوم عن صلاة الجمعة فلا بد أن يعاقب وهذا معناه الوجوب العيني في جميع الفرائض.. بينما لو تم التفريق بين المقامين.. لما حكمو بذلك.

### جواز الفرار من الوباء:

مثال آخر: ما ذكره بعض فقهاء الجمهور من أن الفرار من الوباء غير جائز، فلو مثلاً حدث وباء كالطاعون هل يجوز أن يفر الإنسان منه ويخرج من بلد الوباء إلى بلد آخر؟ لا يجوز ذلك عند

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملی، ج ٥، ص ١٩٦؛ عن أبي عبد الله الصادق القططلة أن أمير المؤمنين القططلة بلغه أن قوماً لا يحضرن الصلاة في المسجد، فخطب فقال: إن قوماً لا يحضرن الصلاة معنا في مساجدنا فلا يؤكلونا ولا يشاربونا ولا يشاررلونا ولا ينأكونوا ولا يأخذونا من شيئاً، أو يحضرنوا معنا صلاتها جماعة، وإن لأوشك أن أمر هم بنار تشمل في دورهم فأحرق عليهم أو ينتهون، قال: فامتنع المسلمون عن مؤاكلتهم ومشارتهم ومناكحتهم حتى حضروا الجمعة مع المسلمين.

بعض فقهاء الجمهور<sup>(1)</sup> ويجوز عند فقهاء الإمامية<sup>(2)</sup>.

وموضع الخلاف يبدو أنه يعتمد على أن ما روي عن الرسول ﷺ هل هو حكم دائم، أو هو تدبير في واقعة خاصة؟ فالذى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه تدبير في قضية حرية خاصة، وبالتالي لا يتخذ طابع الشمولية والعموم.

فقد ذكر الشيخ الصدوقي رحمة الله في كتابه علل الشرائع رواية عن الصادق عليه السلام عن علي ابن المغيرة قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: القوم يكونون في البلد يقع فيها الموت ألم أن يتحولوا عنها إلى غيرها؟ قال: نعم! قلت: بلغنا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاب قوماً بذلك، فقال أولئك كانوا رتبة بإزاء العدو، فأمرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(1) فقد ذكر الألوسي في تفسيره، ج 28، ص 97 ذلك فقال في ذيل الآية المباركة: «... فَيُنَبَّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بما، واستشعر غير واحد من الآية ذم الفرار من الطاعون، والكلام في ذلك طويل، فمنهم من حرمه - كابن خزيمة - فإنه ترجم في صحيحه - باب الفرار من الطاعون من الكبائر - وأن الله تعالى يعاقب من وقع منه ذلك ما لم يعف عنه، واستدل بحديث عائشة "الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف" رواه الإمام أحمد، والطبراني، وأبي عدي، وغيرهم، وسنده حسن. وذكر التاج السبكي أن الأكثر على تحريره، ومنهم من قال: بكراتهه كالإمام مالك، ونقل القاضي عياض. وغيره جواز الخروج عن الأرض التي يقع بها عن جماعة من الصحابة منهم أبو موسى الأشعري.

وقال المباركفوري في كتابه تحفة الأحوذى، ج 4، ص 150: قلت والحق أن الخروج من أرض وقع فيها الطاعون فراراً منه حرام وقد ألفت في هذه المسألة رسالة سميتها خير المأupon في منع الفرار من الطاعون.

(2) فقد ذكر ذلك السيد البزدي في الغروة الونقى، ج 2، ص 22، ولم يعلق عليه أحد في الماشية من الفقهاء مما يعني موافقتهم إياه: ويجوز الفرار من الوباء والطاعون، وما في بعض الأخبار من أن الفرار من الطاعون كالفرار من الجحود مختص بمن كان في ثغر من الثغور لحفظه.

أن يثبتوا في مواضعهم، ولا يتحولوا منه إلى غيره، فلما وقع فيهم الموت تحولوا من ذلك المكان إلى غيره، فكان تحويلهم من ذلك المكان إلى غيره كالفرار من الزحف<sup>(١)</sup>.

لقد كانت القضية قضية خاصة، هناك مواجهة بين فرقة من المسلمين وأخرى من الكفار، فوق الوباء في تلك المنطقة فأراد بعض هؤلاء المسلمين (الفرقة العسكرية) المرابطة والمحافظة على التغور أن يهربوا ويتراجعوا، خوفاً من هذا الوباء الذي حدث فخشى رسول الله ﷺ أن يكون ذلك سبباً لاحتياج المشركين للبلد الإسلامي، فقال: إن الفرار من الوباء في هذه الحالة هو كالفرار من الزحف لأنه ينتهي إلى نفس نتيجته وهو تكين المشركين من بلاد المسلمين. أين هذا من كونه حكماً شرعاً دائماً بحيث لو اجتاح وباء الطاعون أو الكوليرا أو غيرها بلداً، فإنه لا يجوز لأهله أن يخرجوا عنه بل ينتظروا أن يموتاً واحداً بعد الآخر؟

### أخرجوا المشركين من جزيرة العرب:

مثال ثالث: ما ينقل عن رسول الله ﷺ من قوله: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" .. وهذا من الأحاديث التي تعتمد عليها بعض الحركات الإسلامية في عملها المسلح المواجه لبعض أنظمة الحكم في جزيرة العرب، فإنكم ينقمون عليها أنها ترك المشركين من المسيحيين واليهود في هذه البلاد مع أن الرسول يقول: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" !

---

(١) الشيخ الصدوق في علل الشرائع، ج 2، ص 521. حديثنا محمد بن موسى بن المستو كل رحمة الله قال حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي عن أحمد بن أبي عبد الله عن ابن محبوب عن عاصم بن حميد عن علي بن المغيرة ..

ولنا عدة وقفات مع هذه الرواية:

\* هذا النص منقول بعدة أخاء، وليس بنحو واحد ف منه ما روی عن ابن عباس<sup>(1)</sup> أنه اشتد برسول الله وجعه.. إلى أن قال: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب). وهناك نص آخر وفيه تغيير لفظ المشركين باليهود<sup>(2)</sup>، وفي نقل ثالث بهذا النص (أخرجوا اليهود من الحجاز وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب)<sup>(3)</sup>.

والمصدر الأساس فيه هو كتب الحديث السنّي بينما لا نجد في كتب الحديث الشيعيّة أثراً لهذا النص، ومن نقله من مصنفي الشيعة إنما اعتمد على روايته عن كتب الجمّهور كالبخاري وغيره.

\* يفترض أن الحادثة واحدة وهي التي كانت قرب وفاة رسول الله ﷺ، وأن النقل قد تعدد ولكن الحادثة واحدة. ولذلك فمن الطبيعي إرجاع العبارات إلى معنى واحد.. وحمل التغيير الذي حصل فيها على شيء من الاشتباه والاختلاط عند الرواية.

(1) كما في صحيح البخاري، ج 4، ص 66: سعيد بن جير سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: يوم الخميس! وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى بل دمعه الحصى. قلت: يا ابن عباس ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله (صلى) وحده فقال: اتمنى بكتف أكب لكم كتاباً لا تضلوا به أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع.. فقالوا: ماله أهجر؟ استفهموه! فقال ذروني فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه فأمرهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجبروا الوفد بنحو ما كنت أجبرهم والثالثة إنما أن سكت عنها وإنما أن قالها فنسيتها قال سفيان: هذا من قول سليمان..

(2) كما في مجمع الروايات للبيشني 325/5.

(3) مسنّد أحمد - الإمام أحمد بن حنبل، ج 1، ص 195؛ عن أبي عبيدة قال آخر: ما تكلّم به النبي (صلى): "أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب".

\* نحن نعتقد أن هذا الإجراء كان إجراءً إدارياً وولائياً أراد النبي ﷺ أن يقوم به - مع فرض صدور الرواية عنه - غير أن الزمان لم يمهله، فأوصى المسلمين بذلك بعدما لم يمكن أن يعين بشكل رسمي وصيغة في تلك الحادثة التي تألم منها ابن عباس وهي حادثة يوم الخميس. فقام بالوصية بشكل عام في هذه القضية حيث المسؤولية ستكون مسؤولة عموم المسلمين، أو لا أقل من حضر مجلسه آنذاك وهم كبار الصحابة وأهل الخل والعقد في المجتمع المسلم.

\* إن لفظ المشركين قد يطلق ويراد منه الوثنيون والذين ليس لهم رسالة سماوية، وقد يطلق أحياناً في بعض آيات القرآن الكريم ويراد منه ما يشمل أهل الكتاب، ولكن الأكثر في استعمال القرآن الكريم هو الأول. وإلى ذلك أشار آية الله مكارم الشيرازي في تفسيره للأمثل فقال:

مفردة (المشرك) تطلق غالباً في القرآن الكريم على من يعبد الأوثان، ولكن بعض المفسرين ذهب إلى أن المشرك يشمل سائر الكفار كاليهود والنصارى والمجوس (وبشكل عام أهل الكتاب) أيضاً، لأن كل واحدة من هذه الطوائف يعتقد بوجود شريك للباري عز وجل، فالنصارى يعتقدون بالثلث، والمجوس يذهبون إلى الثنوية وأن رب العالم هو مزداً وأهرامن، واليهود يرون أن (عزير) ابن الله. ولكن بالرغم من أن هذه الاعتقادات الباطلة موجبة للشرك إلا أن الآيات الشريفة التي تتحدث عن المشركين في مقابل أهل الكتاب ومع الأخذ بنظر الاعتبار أن اليهود والنصارى والمجوس يرتكزون في أساس دياناتهم على النبوات الحقة والكتب السماوية فيتضح أن منظور القرآن الكريم من المشرك هو عباد الوثن. وقد ورد في الحديث النبوي المعروف في ضمن وصايا متعددة "آخر جوا المشركين من

جزيرة العرب" وهو شاهد على هذا المدعى، لأن من المسلم أن أهل الكتاب لم يخرجوا من جزيرة العرب، بل بقوا هناك يعيشون جنباً إلى جنب مع المسلمين بعنوان أقلية دينية، ويلتزمون بما أمر به القرآن الكريم من أداء الجزية إلى المسلمين<sup>(1)</sup>.

فإذن يكون الأمر الصادر بإخراج المشركين من جزيرة العرب غير شامل لأهل الكتاب، بالعنوان الأولي. لما سبق آنفاً.

\* على فرض شموله لأهل الكتاب وخصوصاً اليهود أو أهل نجران، فإن ذلك ربما لم يكن لأجل اعتناقهم تلك الديانات وإنما على أثر عدم وفائهم بشروط المواطنة، والتعايش مع المسلمين، فإن بعض الروايات تصرح بأن النبي ﷺ كان قد صالح يهود نجران على إيقاعتهم فيها بشرط أن لا يتعاملوا بالربا، وقد يكون لأن فيه هديداً لاقتصاد المسلمين، فاشترط عليهم لكي يقيهم أن يتركوا التعامل بالربا، فنكثوا ونقضوا هذا العهد، وقد أشار الحقن صاحب الجواهر إلى ذلك فقال: إنما أوصى النبي ﷺ بإخراج أهل نجران من الجزيرة لأنه صالحهم على ترك الربا فنقضوا العهد<sup>(2)</sup>.

ونفس الكلام يأتي في موضوع اليهود حيث كانوا يشكلون قوة مالية ضخمة، وكانوا إلى ذلك يتآمرون مع المشركين ضد المسلمين. فمن الطبيعي أن يقدم النبي - وحالة الإسلام لما تزل حالة ناشئة - على تدبير من هذا النوع لكلا يبقى هؤلاء على سيطرتهم بعد أن نقضوا مواثيقهم، إذا فهم هذا النص بهذه الطريقة يكون ذلك النص محدوداً بتلك الفترة التي كان فيها خطر منهم على وجود الإسلام في

---

(1) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزلي، ج 2، 127.

(2) جواهر الكلام - الشيخ الجواهري، ج 21، ص 290.

الجزيرة العربية أما بعد قوة الإسلام أو كما قال أمير المؤمنين (أما الآن وبعد أن ضرب بجرانه واتسع نطاقه) فالامر مختلف.  
والأمثلة كثيرة..

## ال الخليفة الثاني وأحكام تدبيرية:

لو أردنا أن نتكلّم الآن خارج الإطار الشيعي، فإن من المعروف أن الخليفة الثاني قد منع متعة الحج ومتعة النساء وأضاف الصلاة خير من النوم في الإقامة، وحذف (حي على خير العمل) من الأذان<sup>(1)</sup>. فنقول هنا - تنزلاً - هل أن هذا المنع حكم إلهي أو أمر تدبيري اجتهد فيه الخليفة الثاني بما رأه في مصلحة المجتمع؟ من الواضح - منها كما في تاريخها - أنها إجراءات تدبيرية، مثلاً أن الخليفة الثاني لما رأى أنه إذا حدث نكاح مؤقت ويختفي أن لا يعرف نسب الأولاد، فقام بمنع ذلك وقد نقل عنه قوله: (لا أؤتي برجل نكح امرأة إلا أحبل إلا رجته بالحجارة)<sup>(2)</sup> .. ونقول إن هذا ليس حكم إلهي وإنما كان حكماً تدبيرياً للمجتمع في ذلك الوقت، انتهى ذلك الطرف والداعي التي دعت إليه.. فلماذا يتم التمسك

---

(1) للتفصيل راجع النص والاحتياط للسيد عبد الحسين شرف الدين العاملبي، المورد 21 - 24.

(2) صحيح مسلم - مسلم النيسابوري، ج 4، ص 38: كان ابن عباس يأمر بالمعنة وكان ابن الزبير ينهى عنها قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله فقال: على يدي دار الحديث تمعتنا مع رسول الله (صلى) فلما قام عمر قال: إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء وأن القرآن قد نزل منزله فأئموا الحج والعمرة لهم كما أمركم الله وأبتو نكاح هذه النساء فلن أؤتي برجل نكح امرأة إلى أحبل إلا رجته بالحجارة؛ وحدثيه زهير بن حرب حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة بهذا الإسناد وقال في الحديث فاصلوا حكم من عمر لكم فإنه أتم لحكم وأتم لعمر لكم.

هذا المنع والتحريم وكأنه حكم إلهي دائم لا يتغير؟ وهكذا فقد تم حذف حي على غير العمل حتى لا يتكل الناس على الصلاة ويترکوا الجهاد<sup>(1)</sup>! ماذا بعد زمان الجهاد؟ الآن لا يوجد جهاد بالمعنى المصطلح حروب وفتح، فإذا كان هناك مبرر لرفع حي على غير العمل من الأذان في ذلك الوقت أيام الخليفة الثاني فهو غير موجود الآن.. وهكذا.

### قضية تحليل الخمس:

ورد في رواياتنا<sup>(2)</sup> أن الإمام الجواد القطّيل قد حلل الخمس لشيعته في سنة (221) للهجرة. وذلك لظروف معينة أحاطت بهم، مما يعني أن

(1) كما ذكر في كتاب علل الشرائع مرويًّا عن عكرمة عن ابن عباس، لأي شيء حذف من الأذان حي على غير العمل.. قال..

(2) الحر العاملي، في وسائل الشيعة (آل البيت)، 9/ 501 بسنده: الشيخ الطوسي عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد عبد الله بن محمد جميعاً، عن علي بن مهزيار قال: كتب إليه أبو جعفر القطّيل - وقرأت أنا كتابه إليه في طريق مكة - قال: إن الذي أوجبت في سنتي هذه وهذه سنة عشرين ومائتين فقط لمعنى من المعاني أكره تفسير المعنى كله خوفاً من الانتشار، وسأفسر لك بعضه إن شاء الله إن موالى - أو بعضهم قصرروا فيما يحب عليهم، فعلمت ذلك فأحييت أن أطهورهم وأزكيتهم بما فعلت في عامي هذا من أمر الخمس (في عامي هذا)، قال الله تعالى: «**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُظْهِرُهُمْ وَتُرْكِيَّهُمْ بِهَا وَصَبِّلُ عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَّاكُمْ سَكَنْ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعُ عَلِيهِمْ»، **«إِنَّمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ السَّوَّاْبُ الرَّحِيمُ»**، **«وَلَمْ يَغْلُبُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسَوْلُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَّدُونَ إِلَى عَالَمِ الْقِبَبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَنْبَكُّ بِمَا كُثِّرْتُمْ تَعْمَلُونَ»** ولم أوجب ذلك عليهم في كل عام، ولا أوجب عليهم إلا الزكاة التي فرضها الله عليهم، وإنما أوجبت عليهم الخمس في سنتي هذه في الذهب والفضة التي قد حال عليهما الحال، ولم أوجب ذلك عليهم في متاع ولا آنية ولا دواب ولا خدم ولا ربح ربحه في تخارة ولا ضبيعة إلا ضبيعة سأفسر لك أمرها تخفيفاً مني عن موالى ومني عليهم لما يغتال السلطان من أموالهم ولما ينوههم في ذاقهم..**

ذلك كان من جهة ولائية، لا أنه تغيير للحكم الإلهي الشرعي.  
بعض الفقهاء يذكر أن الأئمة أيضاً قبل الإمام الجواد عليه السلام  
كانوا قد أباحوا الخمس لشيعتهم ضمن ظروف معينة كان يعيشها  
شيعة أهل البيت ومن هنا فإنه يوجد نصوص تسمى نصوص التحليل  
أي تحليل الخمس، لكنها ليست حكماً إلهياً دائماً..

يتلخص مما سبق أن من المهم لمن ينظر في روايات المعصومين  
عليهم السلام أن يميز بين مقامات المعصوم المختلفة وأن هذه الرواية  
تنتهي إلى أي مقام للمعصوم، للنبي، للإمام، مقام التبليغ للأحكام الإلهية  
الكلية والدائمة ومن "حلال محمد حلال إلى يوم القيمة" .. أو أنها من  
مقام القضاء ولذلك يعبرون عنها بأنها قضية في واقعة .. ولعل مثل رواية  
(لو كنت أمر أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)  
هي من هذا النوع وأنها جاءت لحل مشكلة.. مثلما لو كنت قاضياً  
وحشاءك رجل وزوجته فرأيت مثلاً أن هذه الزوجة قد تجاوزت الحد،  
فتبدأ تبين لها حقوق الزوج وأهميته وأنه كذا وكذا... ليس معنى هذا أن  
الزوجة ليس لها حقوق ولكن هنا في هذا المكان ما دام حدث الاعتداء  
من طرف الزوجة فلا بد أن تأتي وتعظم حقوق الزوج.

وإذا انعكست الآية وجشاءك رجل قد اعتمد ضرب زوجته، فلا  
شك أنك ستقول له أن الذي يضرب زوجته هو في نار جهنم و(من مدّ  
يده إلى زوجته ليضرها فكأنما مدّ يده إلى النار) هنا لا تتكلّم عن حقوق  
الزوج لأنّه ليس من الصالح في علاج تلك المشكلة.. المهم أن تمنع  
الاعتداء من طرف الزوج فلا بد هنا أن تتكلّم عن حقوق الزوجة.

وهكذا الحال في مقام الإدارة الاجتماعية والولائية على المجتمع،  
والخلط بين هذه المقامات يصنع أزمة في فهم النصوص الواردة عن  
النبي وعن المعصومين عليهم السلام.

# عرض الروايات على القرآن والقيم العامة

روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق الثقلية: (إذا ورد عليكم حديث فوجدم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله ص وإنما فالذي جاءكم به أولى به)<sup>(1)</sup>.

تناول هذه المقالة لزوم عرض النصوص الواردة عن رسول الله ص وعن المعصومين على كتاب الله، باعتبار أن ذلك أحد نقاط منهج التعامل مع النصوص الحديثية، وتحدث فيه عن جانبيين:  
الجانب الأول: لزوم العرض على الكتاب والسنّة القطعية.

والجانب الثاني: لزوم العرض على القيم العامة في الدين.  
بالنسبة إلى الأمر الأول: يعتبر الحديث النبوي وعن المعصومين عثابة الشارح والمفصل والمبين لآيات الكتاب ولا يمكن للشارح أو المبين أو المفصل أن يكون ممناقضاً أو مضاداً لما جاء في الكتاب، الفرع ينبغي أن يكون منسجماً مع الأصل والشرح ينبغي أن يكون متنائماً مع المتن وإنما لم يعد ذلك شرحاً ولا تفصيلاً، والقاعدة في هذا أن كل النصوص تقاس بالكتاب وآياته فإن كان عليها شاهد

---

(1) رواه الشيخ الكليني في الكافي 1/69 عن محمد بن يحيى، عن عبد الله بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبيان بن عثمان عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: سألت أبي عبد الله الثقلية عن اختلاف الحديث يرويه من ثقى به ومنهم من لا ثقى به؟ قال:

وكان تسجم مع أحكام القرآن وأياته وإن فإن مثل هذه السنة لوحالفت آيات الكتاب وأحكامه الكتاب، فهي زخرف، ولم يقله الموصومون.

### أيهما يحتاج للآخر:

وينبغي الإشارة إلى أن هناك رأين في قضية عرض السنة على الكتاب وحاجة أي منهما للآخر..

التجه الأول هو ما ذكرناه والذي يذهب إليه شيعة أهل البيت من فقهائهم ومحدثيهم وأن كل حديث ينبغي أن يعرض على الكتاب فإن خالقه ضرب بذلك الحديث عرض الحائط. ويعتمدون في ذلك على أحاديث كثيرة تبين حاجة الحديث إلى القرآن في لزوم عرضه عليه.. منها:

ما عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: "إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه".

عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: خطب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه عني فقال: "أيها الناس! ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله"<sup>(1)</sup>.

وعن أبي جعفر محمد بن علي الباير عليه السلام - في حديث - قال: إذا جاءكم عنا حديث فوجدم عليه شاهداً، أو شاهدين من كتاب الله فخذوا به، وإن فقفوا عنده، ثم ردوه علينا، حتى يستبين لكم.

---

(1) ذكره وما بعده الحر العاملی في وسائل الشیعه (آل الیت) 27/111.

وفي بعض الروايات لزوم العرض على سُنَّة النَّبِيِّ ﷺ، بالإضافة إلى الكتاب.

وعن أَيُوب بْنِ الْحَمْرَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ التَّقِيَّةَ يَقُولُ: كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكُلُّ حَدِيثٍ لَا يَوْافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ زَخْرَفٌ<sup>(۱)</sup>.

وعن سَدِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرَ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ): لَا تَصْدِقُ عَلَيْنَا إِلَّا مَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ.

وعن أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ التَّقِيَّةَ عَنِ الْخِتَالِفَ الْحَدِيثِ يَرْوِيهِ مِنْ نَثْقَبِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا نَثْقَبُ بِهِ قَالَ: إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ حَدِيثٌ فَوْجَدْتُمْ لَهُ شَاهِدًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَّا فَالَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ أَوْلَى بِهِ<sup>(۲)</sup>.

وَمَعْنَى الْمُخَالَفَةِ هُنَا أَنَّهُ يَكُونُ بِنَحْوِ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَنْسَجُمُ مَعَهُ، فَيَكُونُ مَعَ آيَاتِ الْكِتَابِ عَلَى حَدِ التَّبَيِّنِ الصَّرِيحِ، وَالْخِتَالِفُ الْوَاضِعُ، لَا بُجَالٌ فِيهِ لِلتَّفْسِيرِ أَوْ لِلتَّأْوِيلِ.

وَالْقَسْمُ الْأَكْثَرُ مِنْ عُلَمَاءِ الْجَمْهُورِ أَيْضًا ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ السُّنَّةَ النُّسُبِيَّةَ تَعْرُضُ عَلَى الْكِتَابِ وَتُقَيِّمُ فِي أَخْذِهَا أَوْ رَدِّهَا بَعْدَ مَخَالِفَتِهَا لِآيَاتِهِ.

غَيْرُ أَنْ هُنَاكَ رَأِيًّا آخَرَ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ مَقَالَاتِ الإِسْلَامِيِّينَ وَهُوَ أَنَّ السُّنَّةَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْكِتَابِ وَإِنَّمَا الْكِتَابُ هُوَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى السُّنَّةِ، لِأَنَّ السُّنَّةَ تَسْخِي الْكِتَابَ دُونَ الْعَكْسِ.

(۱) الزَّخْرَفُ: الشَّيْءُ الْمُوَهَّدُ غَيْرُ الْحَقِيقِيِّ.

(۲) جَامِعُ أَحَادِيثِ الشِّعْبَةِ - السِّيدُ الْبَرْوَرْجَدِيُّ، ج ۱، ص 257.

وهذا الكلام بظاهره غير مقبول، نعم لو كان المراد هو أن الكتاب لما كان يحتاجاً إلى الشرح والتفصيل، والبيان والتقييد، فهو بهذا الاعتبار يحتاج إلى السنة، فلا بأس به. لكن الكلام هو في مرحلة قبل هذه المرحلة وهي ما إذا كان مضمون الحديث والسنة غير منسجم، ولا متواافق مع الكتاب، فكيف يمكن قبوله والنظر فيه؟

فقد ذكر ابن أبي يعلى في كتابه طبقات الحنابلة من ضمن الاعتقادات: وأن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن<sup>(1)</sup>.

وقد فسر أحمد بن حنبل ذلك عندما سُئل عن الحديث الذي روی إن السنة قاضية على الكتاب فقال أَحْمَدٌ: أجسر على هذا أن أقوله ولكن السنة تفسر الكتاب وتبيّنه<sup>(2)</sup>. وهكذا ما نقله بن قتيبة الدينوري في تأویل مختلف الحديث عن يحيى بن أبي كثیر أنه قال: السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة. أراد أنها مبينة للكتاب منبئة بما أراد الله تعالى فيه<sup>(3)</sup>.

إن المسلمين يعتقدون بأن هذا القرآن الذي بين أيدينا هو الذي نزل على رسول الله ﷺ من ربِّه لم تزد فيه آية ولم ينقص حرفًا، بل تعهد الله تعالى بحفظه فقال: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»<sup>(4)</sup>، وهو قطعي السند قد وصل إلينا بأفضل ما يمكن من تواتر حيث حفظه الأمة جيلاً بعد جيل، بأفضل مما تحفظ به فضتها وذهبها. ومن يذهب إلى غير هذا من المسلمين - من أي فرقـة كان ومهما كانت منزلته العلمية - فهو مردود عليه، ومرفوض منه.

---

(1) ص 182.

(2) ص 99.

(3) ص 59.

(4) الحجر: 9.

بينما السنة النبوية تعرضت لكثير من التحريف والكذب قد أخبر عنه رسول الله ﷺ بل يظهر أن الكذب على النبي كان في عهده ولما يرحل عن هذه الدنيا كما يستفاد من كلام أمير المؤمنين علي: ولقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيباً فقال: (من كذب على متعمداً فليتبواً مقعده من النار) <sup>(١)</sup>.

وهكذا الحال بالنسبة لأئمة أهل البيت عليهم السلام فقد ابتلوا بعدد من المنحرفين وضعوا على لسانهم روايات مكذوبة. وقد أخبروا عن ذلك أيضاً: فعن الصادق عليه السلام: إنما أهل بيته صادقون لا يخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكتبه علينا عند الناس <sup>(٢)</sup>.

ولا يكفي النظر السندي في هذه الروايات، فإن من طريقة هؤلاء الكاذبين التدليس، بحيث يخفى في بعض الأحيان افتعالهم ووضعهم للحديث. وهنا لا بد من اللجوء إلى العرض على الكتاب لسرؤية ما إذا كان الحديث متوافقاً معه أو لا.. بل لا بد من اللجوء إلى الكتاب حتى في حالة كون الرواية صحيحة السند بحسب موازين علم الرجال، فلا يكفي الصحة بهذا المعنى للأخذ بها، فلو كانت صحيحة بهذا المعنى ولكنها غير منسجمة مع آيات الكتاب وأحكامه فلا يمكن العمل بها، ولعل في الروايات السابقة التي نقلناها عن الموصومين إشارة كافية لهذا الجانب.

ففي رواية ابن أبي يغفور سوى فيها بين من يوثق به ومن لا يوثق به في أن ما جاء به إذا كان عليه شاهد من كتاب الله فيؤخذ وإلا فلا. وهكذا إطلاق بعض الروايات الأخرى.

---

(١) فتح البلاغة - خطب الإمام علي (ع)، ج ٢، ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) مستدرك الوسائل للمحدث النوري ٩/٩٥.

## أصول السنة في القرآن:

والمقصود أن الأصول العامة موجودة في القرآن، وإنما ليس فيه التفصيل الموجود في الروايات.

نورد بعض الأمثلة على أن أئمة أهل البيت عليهم السلام حاولوا أن يعلموا الناس أن أصول السنة ينبغي أن تكون موجودة في القرآن، ليست تفاصيل كل حديث موجودة في القرآن ولكن الأصول العامة موجودة.

فقد روي<sup>(1)</sup> عن الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين الكلبي: إذا حدثكم بشيء فاسألوني من كتاب الله، ثم قال في بعض حديثه، إن رسول الله ﷺ نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال! فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إن الله عز وجل يقول: «لَا خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِّنْ تَجْوِهِمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ...»<sup>(2)</sup> وقال: «وَلَا يُؤْمِنُوا بِسُقُفَهَاءَ أَفْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً...»<sup>(3)</sup> وقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ سُؤُلَكُمْ...»<sup>(4)</sup>.

## أحاديث رؤية الله:

إننا نرى في بعض الأحيان أحاديث قد تكون منقوله في

(1) الكافي - الشیخ الكلبی، ج 1، ص 60.

(2) النساء: 114.

(3) النساء: 5.

(4) المائدۃ: 101.

الصالح ولكن لا تجد تلاوئماً وانسجاماً بينها وبين آيات القرآن، من الأمثلة على ذلك ما يرويه الجمهور في بعض كتبهم أن رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة المعراج وبعضهم يضيف بعين رأسه<sup>(1)</sup>.

وفي روایات أخرى أن هذا الأمر لا يقتصر على رسول الله وإنما أنت أيضاً يوم القيمة، ترون ربكم لا تضامون في رؤيته كما ترون الهلال فعن قيس عن حرير قال كنا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة عين البدر فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته<sup>(2)</sup>.

بل بعضهم ليضيف بأن الله قد وضع يده على كتف النبي وينقلون عن النبي أنه قال!! أحسست برد أنامله بين ثديي؟ ففي مسنن أحمد: إن النبي ﷺ قال: "أتاني ربي عز وجل الليلة في أحسن صورة أحببه يعني في النوم فقال: يا محمد هل تدرى فيما يختص الملاّء الأعلى؟ قال: قلت لا، قال: النبي ﷺ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال نحرى فعلمت ما في السماوات وما في الأرض"<sup>(3)</sup> وأصبحت هذه الفكرة من جملة

(1) السيرة الحلبية - الحلببي، ج 2، ص 141: قال الإمام الترمذى والراجع عند أكثر العلماء أن رسول الله (صلى) رأى ربه بعين رأسه.. وأما رؤيته عز وجل يوم القيمة في الموقف فعامة لكل أحد من الخلق الإنس والجن من الرجال والنساء المؤمن والكافر والملائكة حربيل وغيره.

ونقل السيد العاملى فى كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم، رأبهم ورواباهم فى أن النبي (صلى) قد رأى الله حين المعراج بعين رأسه، ورووا ذلك عن ابن عباس. بل لقد حكى النقاش عن أحمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رأه، رأه، حتى انقطع نفسه، يعني نفس أحمد.. ونقل ذلك عن تاريخ الخميس..

(2) صحيح البخاري - البخاري، ج 1، ص 138 - 139.

(3) مسنن أحمد - الإمام أحمد بن حنبل، ج 1، ص 368.

عقائد قسم من المسلمين<sup>(1)</sup>.

لا شك هنا أن الحديث غير مقبول سواء كان رواته ثقات أو لم يكونوا، لأنه يعارض آيات القرآن الكريم، كيف يقول النبي أنه رأى ربه رأي عين وقد قال ربنا في كتابه (لا تدركه الأبصار)؟ كيف ترونـه أنتـم يوم القيمة، وقد قال الله لموسى: لن تراني كما يخبرـنا القرآن الكريم، وهو نفي تأيـدي و دائم! كيف ينال مؤمن رؤية الله رؤية بصرية ويحرـم منها النبي من أولـي العزم؟

وهـنا كلام للإمام الرضا علي بن موسى القطـب يقول إنـك لن تـجد إـساءـةـ للنبي أـكـثـرـ منـ نـسـبـةـ ذـلـكـ لـهـ، لأنـهـ سـيـتـهـيـ إـلـىـ أحدـ مـحـذـورـينـ، إـماـ أـنـ يـكـذـبـ النـبـيـ فـيـ تـبـلـيـغـهـ عـنـ اللهـ أـنـهـ لاـ تـدـرـكـهـ الأـبـصـارـ، وـإـماـ أـنـ يـكـذـبـ النـبـيـ فـيـ قـوـلـهـ إـنـهـ رـآـهـ، وـكـلـاـ الـأـمـرـيـنـ إـسـاءـةـ وـاضـحةـ للـنـبـيـ.

فـعـنـ صـفـوـانـ بـنـ يـحـيـيـ، قـالـ: سـأـلـيـ أـبـوـ قـرـةـ الـمـحـدـثـ أـنـ أـدـخـلـهـ عـلـىـ أـبـيـ الـحـسـنـ الرـضـاـ القطـبـ فـاسـتـأـذـتـهـ فـيـ ذـلـكـ فـأـذـنـ لـيـ، فـدـخـلـ عـلـيـهـ فـسـأـلـهـ عـنـ الـحـالـ وـالـحـرـامـ وـالـأـحـكـامـ حـتـىـ بـلـغـ سـؤـالـهـ التـوـحـيدـ، فـقـالـ أـبـوـ قـرـةـ: إـنـاـ رـوـيـنـاـ أـنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ قـسـمـ الرـؤـيـةـ وـالـكـلـامـ بـيـنـ اـثـنـيـنـ، فـقـسـمـ لـمـوـسـىـ القطـبـ الـكـلـامـ وـلـمـحـمـدـ رسـولـ اللهــ الرـؤـيـةـ.

فـقـالـ أـبـوـ الـحـسـنـ القطـبـ: فـمـنـ الـمـلـبـعـ عـنـ عـزـ وـجـلـ إـلـىـ الثـقـلـيـنـ الـجـنـ

(1) وـقـيلـ فـيـهـ الأـشـعـارـ بـلـ حـقـ بـعـضـ الأـشـعـارـ الـيـ تـقـرأـ - غـفـلةـ فـيـ بـعـضـ بـحـالـسـناـ - كـمـاـ هـوـ الـحـالـ فـيـ شـعـرـ عـبـدـ الـبـاقـيـ أـفـنـدـيـ الـعـمـريـ وـهـوـ مـنـ يـحـيـيـ عـلـيـ وـأـهـلـ بـيـتهـ وـلـهـ شـعـرـ فـخـمـ فـيـهـمـ، وـلـكـنـهـ بـالـتـيـتـجـةـ مـتـأـثـرـ بـعـضـ هـذـهـ الـعـقـائـدـ، فـيـقـولـ فـيـ بـعـضـ قـصـائـدـ فـيـ مدـحـ أـمـرـ الـمـؤـمـنـ: وـأـنـتـ أـنـتـ الـذـيـ حـطـتـ بـهـ قـدـمـ فـيـ مـوـضـعـ يـدـهـ الرـحـمـنـ قـدـ وـضـعـا!! يـشـبـهـ صـعـودـ الـإـمـامـ عـلـيـ عـلـىـ كـنـفـ النـبـيـ لـإـلـقاءـ الـأـصـنـامـ مـنـ الـكـعـبةـ، يـقـولـ: أـنـتـ حـطـتـ بـكـ قـدـمـكـ عـلـىـ مـكـانـ قـدـ وـضـعـ اللـهـ فـيـ يـدـهـ وـهـوـ كـنـفـ النـبـيـ!! وـهـوـ كـمـاـ تـرـىـ مـعـنـ غـيرـ صـحـيـحـ.

لیست که از آنها می‌توان در اینجا اشاره نمود. اینها عبارتند از:  
۱- بیان اینکه این افراد که در این مقاله مذکور شده‌اند از این دو طبقه  
یا از هر دو طبقه نیستند بلکه از هر کدامیکی از این دو طبقه می‌باشند.  
۲- بیان اینکه این افراد که در این مقاله مذکور شده‌اند از هر دو طبقه  
یا از هر کدامیکی از این دو طبقه نیستند بلکه از هر کدامیکی از این دو طبقه  
می‌باشند.  
۳- بیان اینکه این افراد که در این مقاله مذکور شده‌اند از هر دو طبقه  
یا از هر کدامیکی از این دو طبقه نیستند بلکه از هر کدامیکی از این دو طبقه  
می‌باشند.  
۴- بیان اینکه این افراد که در این مقاله مذکور شده‌اند از هر دو طبقه  
یا از هر کدامیکی از این دو طبقه نیستند بلکه از هر کدامیکی از این دو طبقه  
می‌باشند.  
۵- بیان اینکه این افراد که در این مقاله مذکور شده‌اند از هر دو طبقه  
یا از هر کدامیکی از این دو طبقه نیستند بلکه از هر کدامیکی از این دو طبقه  
می‌باشند.  
۶- بیان اینکه این افراد که در این مقاله مذکور شده‌اند از هر دو طبقه  
یا از هر کدامیکی از این دو طبقه نیستند بلکه از هر کدامیکی از این دو طبقه  
می‌باشند.  
۷- بیان اینکه این افراد که در این مقاله مذکور شده‌اند از هر دو طبقه  
یا از هر کدامیکی از این دو طبقه نیستند بلکه از هر کدامیکی از این دو طبقه  
می‌باشند.  
۸- بیان اینکه این افراد که در این مقاله مذکور شده‌اند از هر دو طبقه  
یا از هر کدامیکی از این دو طبقه نیستند بلکه از هر کدامیکی از این دو طبقه  
می‌باشند.  
۹- بیان اینکه این افراد که در این مقاله مذکور شده‌اند از هر دو طبقه  
یا از هر کدامیکی از این دو طبقه نیستند بلکه از هر کدامیکی از این دو طبقه  
می‌باشند.  
۱۰- بیان اینکه این افراد که در این مقاله مذکور شده‌اند از هر دو طبقه  
یا از هر کدامیکی از این دو طبقه نیستند بلکه از هر کدامیکی از این دو طبقه  
می‌باشند.

## هل يورث الأنبياء؟

مثال آخر ما استشهدت به الصديقة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها في قضية فدك عندما قيل لها بأن هناك حديثاً وهو: "إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة" أو في نقل آخر فهو لولي الأمر بعدها.

لم تفعل فاطمة الزهراء عليها السلام شيئاً سوى أنها عرضت هذا الحديث على القرآن، قالت: أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبيذمته وراء ظهوركم، إذ يقول: «وَوَرَثَ سُلَيْمَانَ دَأْوِدَ...» وفيما اقتض من خبر يحيى وزكريا إذ يقول: «... فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَا \* يَرْثِي وَتَرْثِي مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبَّ رَضِيَا»<sup>(1)</sup> وقال عز وجل: «بِوَصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذِّكْرِ مُثْلُ حَظِّ الْأَئْشِينِ...»<sup>(2)</sup> وقال تعالى: «... إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدِينِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَفْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ»<sup>(3)</sup>. وزعمتم أن لا حظ لي ولا إرث من أبي. أخصكم الله بأية أخرج أبي منها؟ أم تقولون: إن أهل ملتين لا يستوارثان؟ أو كنت أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنت بخصوص القرآن وعمومه أعلم من جاء به<sup>(4)</sup>.

أنت ترى أن عرض الحديث على الكتاب يسقطه عن الاعتبار. فهو يخالف عمومات القرآن في إرث الأولاد من آبائهم، وخصوص آيات آخر في إرث أولاد الأنبياء من آبائهم. فإذا ثمت مرحلة المقتضي فهي مرحلة المانع من اختلاف الدين أو غير ذلك لا وجود لها!

(1) مريم: 5 - 6.

(2) النساء: 11.

(3) البقرة: 180.

(4) الاحتجاج للطيرسي 1/139.

## العرض على القيم العامة في الدين:

جاء الدين الإسلامي منظومة شرعية ومعها منظومة قيمية أخلاقية، وكان الكثير من التشريعات يستقى من تلك القيم.. فقيمة العدالة والتي تبدأ من العدل الإلهي هي مصدر للكثير من الأحكام والتشريعات. وقيمة ارتباط الجزاء بالعمل، أيضاً هي من تلك القيم. وحرمة المسلم في ماله ودمه وعرضه أيضاً تكون منشأ للكثير من الأحكام التفصيلية.. التوحيد إحدى القيم، حرية الإنسان وأنه ليس مجبراً على أعماله جبراً يسلبه الاختيار إحدى القيم، مسؤولية الإنسان تبعاً لذلك، اشتراك الناس في التكليف إلا ما خرج بالدليل، مساواة الناس من حيث الحقوق والواجبات إلا ما اختص به صنف دون صنف.. وقد أكد القرآن الكريم هذه القيم في آيات مختلفة ومتنوعة وتحدد عنها المقصومون عليهم السلام، بل قامت تشريعات الدين وتفاصيله لتدعيمها، فإذا وجدنا روایة تختلف هذه القيم كلاً أو بعضاً مخالفة صريحة ولم يمكن الجمع بينها وبين تلك القيم الثابتة والأحكام الراسخة، ينبغي أن يتوقف أمامه موقف التأمل والمستفهم أو الراد في الآخر..

في المقابل توجد أحاديث تروى عن النبي ﷺ تارة وعن المقصومين أخرى، وربما يكون سندها معتبراً، لكن مع شيء من التأمل تجد أن هذه الأحاديث لا تتفق مع واحدة أو أكثر من القيم في المنظومة الأخلاقية للإسلام..

### لن تبلغوا مد أحدهم!

و هنا تأتي أهمية العرض على هذه القيم، فإنه يروى عن النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ

من الكتاب والستة يشمل المؤمنين وغيرهم، فإن قوله تعالى: «... وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا...»<sup>(1)</sup> إما للمكلفين كلهم، أو المسلمين فقط، بجواز غيبة الكافر ولقوله تعالى بعده: «... لَحِمَ أَخِيهِ مَيْتًا...» وكذا الأخبار فإن أكثرها بلفظ الناس أو المسلم. مثل ما روي في الفقيه: (من اغتاب امرءً مسلماً بطل صومه ونقض وضوئه وجاء يوم القيمة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجحيفة يتاذى به أهل الموقف، وإن مات قبل أن يتوب مات مستحلاً لما حرم الله تعالى، إلا من سمع فاحشة فأفشاها فهو كالذى أتهاها، ومن اصطنع إلى أخيه معروفاً فامتن به أحبط الله عمله وأثبت وزره ولم يشكر له سعيه). وقال (ره) في رسالة الغيبة: (قال النبي ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، والغيبة تناول العرض"، وقد جمع بينها وبين الدم والمال وقال ﷺ: "لا تحسدوا ولا تبغضوا ولا يغتب بعضكم ببعضاً، وكونوا عباد الله إخواناً". وعن أنس قال: قال البراء: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العوائق في بيوكما، فقال: "يا معاشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف

ذلك ما قال العالمة الجلسي (ره): والحق الأردبلي في الورع والتقوى والزهد والفضل بلغ الغاية القصوى، ولم أسمع بعلمه في المتقدمين والمتاخرين جمع الله بينه وبين الأئمة الطاهرين.. انتهى.

توفي سنة 993هـ، وكان من أعيان تلامذته صاحب مدارك الأحكام السيد محمد العاملبي، وصاحب المعالم والشيخ عبد الله التستري، وكان يتميز في الجانب العلمي بالجرأة والتحديد، وتحقيق الكثير من المبانى بعد التشكيك في ما هو مشهور، كما يلاحظ الناظر إلى كتابه بجمع الفائدة والبرهان. بنفس المقدار الذي كان يعرف به بالقداسة والاحتياط والرهد في الجانب العملي والأخلاقي.

(1) الحجرات: 12.

بيته" وغير ذلك. وبالجملة: عموم أدلة الغيبة وخصوص ذكر المسلم يدل على التحرير مطلقاً، وأن عرض المسلم كدمه وماله، فكما لا يجوز أخذ مال المخالف وقتله لا يجوز تناول عرضه الذي هو<sup>١</sup> (الغيبة).

وإلى رأي الحق الأردبيلي المتوفى سنة 993هـ، المخالف لما عليه جملة من العلماء الذين التزموا بمقادير تلك الروايات، ذهب بعض الفقهاء المعاصرين كالشيخ حسين علي المنتظري الذي قال: إن حرمة السب والغيبة، والتي تمثل انتهاكاً للحقوق المعنوية خاصة بالمؤمن فقط، فيقول: إن ظلم الناس غير جائز بحكم العقل وبحكم الكتاب والسنة أيضاً، نحن نعتقد أن القرآن إذ يقول: «ولقد كرمنا بني آدم...» فهو يقصد أن بني آدم مكرمون لأنهم بني آدم. فحينما يقال حقوق الإنسان، معنى ذلك أن للإنسان شرفه وكرامته بما هو إنسان حتى لو كان كافراً، لأن الإنسان محترم بذاته عند الله وهذا صريح معنى الآية، ويقول علي في عهده لمالك الأشتر: "الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق" وبالتالي فإن للإنسان حرمة بما هو إنسان. إن السب حرام وعلى المؤمن أشد حرمة، ربما اعتبروا روايات تحريم السب خاصة بالمؤمنين لأن ذلك هو القدر المتيقن. إن تشديد الروايات على المؤمن ربما كان لإثارة المشاعر، حيث يقال: إن هذا الشخص مؤمن ومقتضى ذلك أن بعض التهم لا تنطبق عليه. وفي حرمة السب يمكن كذلك اعتماد الآية: «... ولا تباذروا بالألقاب...»<sup>(2)</sup>، وليس فيها قيد المؤمن والمسلم. يقول الله إنه يكره اختلاق الألقاب السيئة. ويقول أيضاً: (... لا يُسْخِرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ...)

(1) بجمع الفائدة - الحق الأردبيلي، ج 78/8.

(2) الحجرات: 11.

ولا يقين ذلك باعتقادهم الإسلام، لأن الله أراد أساساً أن تكون العلاقات الاجتماعية سلية ولا يخاطب الناس بعضهم بعضاً بالسوء، إنه حكم يشمل غير المسلمين أيضاً. السب مذموم عند الله في نفسه، سواء كان ضد مؤمن أو ضد غير المؤمن<sup>(1)</sup>.

وكذلك كان رأي الشيخ الصانعي الذي قال: قد ذكرت في بحث الغيبة أنها لا تجوز بتاتاً على خلاف بعض الفقهاء الذين قالوا بجواز غيبة غير الشيعي وأنه لا يوجد لنا دليل على حرمتها. وقد ذكرت في المكاسب المحرمة عدم جواز غيبة أي أحد، الغيبة بمعنى الاستفادة الناشئ من الحسد محرمة، أما إذا أظهرت مظلوميتها أو انتقدت من يرتكب الأخطاء في المجتمع فهذا ليس بغيبة وليس محرماً، والغيبة المحرمة هي الغيبة الناشئة عن الحسد، وهناك موارد لاستثناء الغيبة وأشار إليها الشهيد الثاني في رسالته وأنا لا اعتبرها من استثناءات الغيبة، فما ذكره من موارد مختلف عن الغيبة.

إن المرحوم المحقق الدمامي كان يقول: يعتقد أبي أن روایات الغيبة كانت تخصُّ بنى أمية وجاءت بعد واقعة كربلاء؛ لأن جنایات بنى أمية كانت كثيرة، وهي لا تعد غيبة بل تُظلم<sup>(2)</sup>.

## علم الأئمة بالغيب

ما يظهر منه في بعض الروایات أن الأئمة يعلمون الغيب بالاستقلال، ظاهرها هكذا لكن يكذبها أن الله سبحانه وتعالى هو لا سواه عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو **«قلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي**

(1) نقل ذلك في موقعه الإلكتروني عنه الشيخ حسن الصفار.

(2) عن موقعه على شبكة الإنترنت.

**السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...)**<sup>(1)</sup> نعم تعليم من الله تعالى  
أوليائه لا مانع منه فإن الله **«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \***  
**إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فِإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ**  
**رَصَدًا»**<sup>(2)</sup>. أو كما أجاب أمير المؤمنين **الشَّافِعِيَّةُ** ملئ قال له (أعطيت  
علم الغيب): ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم.

## المرأة شر؟

كذلك ما يروى عن أمير المؤمنين **الشَّافِعِيَّةُ** أنه قال: المرأة شر كلها  
وشر منها أنه لا بد منها!!

عندما تتأمل في هذا القول لا بد أن تتوقف أولاً لتساءل هل أن  
الله سبحانه وتعالي قد خلق شرًا مطلقاً؟ ليس فيه جهة خير أصلاً؟ بل  
وحتى جهة الخير وهي الحاجة إليها للتناسل هي أيضاً تكون أكثر  
(شرية) وسوءاً من المرأة الشر نفسها؟ ما هو الذنب الذي ارتكبه  
قبل أن تخلق! لكي تخلق شرًا مطلقاً؟

عندما تعرض هذه الرواية أولاً على القرآن الكريم تجد فيه  
المساواة في التكليف والمنزلة والأجر، فكيف تكون في هذه الرواية  
شرًا وفي القرآن غير ذلك؟

ماذا يقول القرآن: **«فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ**  
**عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَغْضُكُمْ مِنْ بَغْضٍ...»**<sup>(3)</sup> ويقول:

(1) النمل: 65.

(2) الجن: 26 - 27.

(3) آل عمران: 195.

«وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ  
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ تَقْبِيرًا»<sup>(1)</sup> «مِنْ عَمَلِ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ  
أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُخْيِنَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَخْسَنِ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ»<sup>(2)</sup>.. تعال واعرضها على السنة الثابتة والقيم  
الأصلية.. (المرأة ريحانة وليس بقهرمانة) اعرضها على (نعم الولد  
البنات) و(البنات حسنات والحسنات ثاب عليهن).

فإن أمكن توجيه الرواية المذكورة بنحو يتوافق مع هذه الأصول  
القرآنية والأخلاقية، وإلا فلا يمكن قبولها. فإن القرآن قد أعلى منازل  
النساء حتى ضرب منهاهن الأمثال للنساء والرجال على السواء  
«وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آتَيْنَاهُنَّا مِنْهُنَّا اُمَّرْأَةً فِرْعَوْنَ...»<sup>(3)</sup>.

كيف تكون شرًا كلها! مع وجود هذا العدد الهائل من النساء  
الفضليات من آل بيت رسول الله من الصحابيات ومن العاملات  
والمؤمنات والمتفقهات في الدين على مر التاريخ؟ واستثناء هذا العدد  
ينتهي إلى استثناء الأكثر وهو قبيح ومستهجن!

### شاوروهن ثم خالفوهن:

هناك رواية أخرى تروى عن الإمام أيضاً وهي (شاوروهن ثم  
خالفوهن) ونحن نتساءل هنا هل هذا مطابق لما أمر به من العشرة  
الحسنة، التي أمر بها القرآن وهي أساس الحياة الزوجية المستقرة فهو

(1) النساء: 124.

(2) النحل: 97.

(3) التحریر: 11.

يقول لنا من جهة: «... وَعَاشُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...»<sup>(1)</sup> لكن من جهة أخرى تقول الرواية أنيك في الوقت الذي تريد مشاورتها تعمد مخالفتها هل هذه عشرة معروفة!!

القرآن الكريم ينقل لنا آراء نساء لم يكن مؤمنات، كانت خيراً من آراء الرجال في مجتمعهن وأتاحت إيمان مجتمع كامل، وهي قضية سباً وبليقис.

ويوجه القرآن الكريم إلى أن الزوجين ينبغي أن يتشاروا في أمور البيت والأطفال، ومن الطبيعي أنه بقصد الوصول إلى تفاصيل مشتركة، ونتيجة طيبة «... فَإِنْ أَرَادَا فَصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاءُرٌ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا...»<sup>(2)</sup> ووجدنا أن النبي ﷺ قد استشار بعض زوجاته وعمل على طبق مشورهن، كما يذكر ذلك في قضية صلح الحديبية، واستشارته لزوجته أم سلمة وعمله بذلك.<sup>(3)</sup>.

---

(1) النساء: 19.

(2) البقرة: 233.

(3) لمراجعة هذا العنوان وسابقه بالتفصيل يمكن مراجعة مقدمة كتاب (في رحاب الإمام علي) محاولة لنفهم أحاديث في شأن المرأة.



## **مركز آفاق للدراسات والأبحاث**

مؤسسة ثقافية تعنى بشؤون التجديد الثقافي وقيم الحوار والتسامح وقضايا الحرية والإصلاح، وتعمل على تنمية الاهتمام بالجوانب الثقافية والمعرفية.

وتوصل في سبيل تحقيق ذلك بالخطوات التالية:

1. تزويد الساحة بكتابات ومؤلفات جادة حول قيم التعددية والإصلاح والعيش المشترك ومؤسسات المجتمع المدني والقبول بالآخر.
2. التواصل المعرفي والثقافي مع الثقافات الإنسانية والمكاسب الحضارية.
3. تفكيك الأصول الفكرية والأسس الثقافية لظواهر الاستبداد والاستقرار بالرأي والتعصب والغلو، وإرساء معلم الاعتدال والشورى والتداول والحربيات العامة.
4. المساهمة عبر وسائل التوعية والتنفيذ في مشروعات التنمية الثقافية في المجتمع.

لمراسلة المركز : [aafaq2006@maktoob.com](mailto:aafaq2006@maktoob.com)

## هذا الكتاب

تعيش أمتنا العربية والإسلامية كما هو مشاهد وضعاً متخلفاً، في أكثر من صعيد.. فهي تقع في نيل الأمم المتحضرة وتحتل موقعها في خانة الأمم المتخلفة والتي تسمى مجاملة بالنامية. وفي داخلها لا يحتاج الباحث إلى أكثر من الالتفات إلى ما حوله، ليرى آثار التخلف ومظاهره بادية في مختلف الصعد.

ففي المجال السياسي لا تزال الأمة تعيش ضمن أنظمة سياسية لا تنتمي إلى هذا العصر وبعض شعوبها يحيا غائباً تماماً عن واقعه السياسي (تكرش من أعلاها وتلهم عما يراد بها)، كما أن هذه الشعوب لم تحقق تقدماً في صراعها الأساس، بل هي تتراجع يوماً بعد يوم وأمامك القضية الفلسطينية شاهد فما كان يرفضه المسلمون بقوة في السابق أصبحوا يتولسون لنيل بعضه اليوم فلا يجدونه!

وفي المجال الاقتصادي تلاحظ صور الفقر والبطالة وضعف الإنتاج، ويتمثل بين عينيك عناوين التبعية بالرغم من مقومات الثراء والغنى الموجودة فيها، في البر والبحر والموقع، وغير ذلك مما يعلم الجميع.

وإذا كان المجال الاجتماعي في السابق يشفع لهذه الأمة بعض الشيء حيث لم تصل مشاكل الحداثة وأثار العولمة، فيقي أثر التوجيهات الأخلاقية والأنمط الاجتماعية التقليدية صائناً لقسم من القيم، وحافظاً لأبناء المجتمع من الانهيار، فإن هذا بدوره قد تراجع على أثر الافتتاح على الثقافات والعادات الذي جاءت به عولمة التواصل في هذا الزمان.

ولهذا ينبغي التساؤل بما هي الحاجة الأكثر إلحاحاً بالنسبة لأمتنا لكي تتجاوز وضعها السيء الراهن؟

مقدمة المؤلف